صوت النساء

الخميس ٢٠٠٥/٦/٩ - السنة الثامنة - العدد ٢١٧

صحيفة تصدر كل اسبوعين تعنى بقضايا المجتمع

Thursday 9/6/2005 NO 217

معاً من أجل التحرير ... معاً من أجل بناء الوطن

للخروج من إطار العمل النخبوي

دعوة المؤسسات النسوية والمجتمعية إلى الوصول للفئات المحتاجة

ماجدة أحمد

«توعية المرأة في الانتخابات» هو احد المشاريع المهمة التي ستركز على توعية النساء في المناطق الأكثر تهميشاً واكتظاظاً بالسكان في القطاع، والتي لم تستهدف من قبل من المؤسسات المجتمعية والنسوية بالقدر الكافي، حيث تقوم بتنفيذه وحدة المرأة والطفل في المجلس التشريعي الممول من قبل برنامج الأمم المتحدة الانمائي والذي يستمر أربعة أشهر.

المناطق المهمشة

آمال حمد، مديرة وحدة المرأة والطفل الجهة المنفذة للمشروع تحدثت عن أهداف المشروع قائلة «إن الوحدة قامت بدراسة احتياجات العشرات من المناطق المهمشة والنائية من أقصى شمال القطاع الى أقصى جنوبه، والتي أشارت نتائج الدراسة الى حاجة تلك المناطق الماسة لمثل هذه البرامج التوعوية التي لم تطرق أبواب أحيائهم الشعبية والفقيرة من قبل، مشيرة الى أنها لمست تعطشاً كبيراً من قبل القاطنات في المناطق للمعرفة والتوعية، خاصة وانهن لا يمتلكن وعياً بالعملية الانتخابية السابقة على سبيل المثال وان محور اهتمامهن ينصبّ على التموين الذي رسخ بطريقة كبيرة في المجتمع الفلسطيني جراء تردي الأوضاع الاقتصادية اثر الانتفاضة.

وتضيف حمد انها سجلت العديد من الملاحظات خلال ورشات العمل التي عقدتها في ١٥ منطقة في شمال وجنوب القطاع منها عدم وصول المؤسسات النسوية والمجتمعية المناطق

التتمة صفحـــة ٤

وجه مشرق للمرأة الفلسطينية في الانتخابات

رغم العادات والتقاليد مشاركة فاعلة وحضور مشرف للفتيات

هداية شمعون

لم تتوان المرأة الفلسطينية في المشاركة في العملية الانتخابية التي جرت وما زالت في قطاع غزة والضفة الغربية، فكانت مراقبة محلية وكانت مشرفة ومنسقة وكانت مرشحة أو رئيسة لجنة ولم تمنعها العادات والتقاليد التي جبلت عليها الأسر الفلسطينية بل تحدت الكثير من العقبات التي واجهتها إيمانا منها بحجم المسؤولية الملقاة على عاتقها وبأهمية مشاركتها..

ومن هنا كانت لنا عدة لقاءات مع فتيات ونساء شاركن بأوجه مختلفة في صنع الواقع الديمقراطي والسياسي وكانت لهن مشاركة كبيرة في عملية الانتخابات وخاصة المراقبات المحليات في رفح.

تقول تغريد أبو شلوف- بكالوريوس تاريخ من كلية التربية بغزة: «تعتبر مشاركتي في انتخابات المجالس المحلية هي الأولى من نوعها وقد عملت مع مركز الميزان لحقوق الإنسان كمراقبة محلية، لقد كانت تجربة ممتعة بكل معنى الكلمة، وكنت متحفزة لهذا العمل». وتكمل أبو شلوف: «كانت ثقة أهلي كبيرة جدا فقد خرجت من البيت في السادسة صباحا يوم الانتخابات وعدت في الثانية والربع فجرا، ورغم تأخر الوقت إلا أن أهلي كانوا مطمئنين ولا يخلو الأمر من اتصالهم بي من وقت لآخر للاطمئنان».

التتمة صفحـــة ٤

الافتتاحية

مقومات السلام

يمر الخامس من حزيران للمرة الثامنة والثلاثين بعد احتلال ما تبقى من فلسطين في العام ١٩٦٧، وما زالت قضية اللاجئين الذين اضطروا في المرة الثانية للنزوح عالقاً مثل الذين هاجروا في المرة الأولى في العام ١٩٤٨. وعوضاً عن إيجاد حل عادل لقضية النازحين أو اللاجئين، يزداد عدد النازحين قسراً من بيوتهم وأراضيهم بسبب جدار الفصل العنصري الذي يتسبب بتهجير تدريجي لآلاف الأسر الفلسطينية. وباعتبار ان الأرض هي وسيلة الإنتاج الأساسية في فلسطين، فإن أي فصل للفلسطينيين عن أرضه وبيته يعني وضعه في موقف العاجز واللاخيار، ودفعه نحو الهجرة.

كثيرون اضطروا للهجرة بسبب قلة فرص العمل، وبسبب فقدانهم منازلهم وأرضهم التي صودرت لأغراض «الأمن» المزعوم. وكثيرون ما عادوا قادرين على البقاء بسبب عدم قدرتهم على العودة الى منازلهم دون تصريح، والذي قد يعطى وقد لا يعطى من قبل السلطات الاسرائيلية. وكثيرون من المقدسيين فقدوا هوايتهم وقد تركهم السور خارجاً، بينما أدخلت المستوطنات المحيطة بالقدس من أجل تحقيق أكثرية يهودية في المدينة.

والتغيرات الديموغرافية على الأراضي التي احتلتها اسرائيل ليست جديدة، أو وليدة اللحظة. الهدف واضح منذ أول تهجير للفلسطينين. ضم الأراضي، وفي نفس الوقت التخلص من الفلسطينيين كأكثرية سكانية.

وإذا كان أساس الحديث عن السلام هو الأرض مقابل السلام، فإن ما يحصل حالياً هو عكس هذه المقولة باعتبار ان الأرض ما زالت محتلة، وما يجري عليها من تغيرات جغرافية وديمغرافية ضد كل المواثيق الدولية. واذا كان الإحتلال سيستمر، فالمقاومة هي الرد الطبيعي عليه. وعليه فإن السلام يحتاج الى مقومات كي يتم. وأول هذه المقومات هو انهاء الإحتلال، وحل مشكلة اللاجئين، واطلاق سراح الأسرى والمعتقلين ذوي المحكوميات الطويلة.

طاقم شؤون المرأة

ائتلاف نسوي مكون من أطر ومراكز نسوية بالاضافة الى نساء مستقلات ومهنيات يعملن معاً من أجل مجتمع ديمقراطي يعطي للمرأة حقوقا متساوية ولا يميز ضدها.

المقالات المنشورة بأسماء أصحابها تعبِّر عن وجهة نظرهم/ن.

حقيقة أم خيال..؟؟

ديمة جمعة السمّان

يحكى ان إحدى الخاطئات أرادت ان تتلّخص من وليدها، فانسلت في جنح الظّلام الى غابة، ورمت وليدها تحت شجرة، فأبكى الجوع الوليد، سمعته ذئبة.. ركضت إليه جائعة، رأته أحزنها بكاؤه، رقّ قلبها وجاشت عواطفها، حنّت عليه وألقمته ثديها، وتولّت رعايته فكبر الوليد، وأصبحت أمّه الذئبة.
الحقيقة ان لا أحد يدري إن كانت هذه القصة خيالاً أم حقيقة، ولكننا كبرنا ونحن نسمع هذه القصة، وكبر أولادنا ونحن نعيد على مسامعهم هذه القصة أيضاً.
واستغرب أولادنا، كما استغربنا نحن في مثل اعمارهم، وهل يعقل ان ترعى ذئبة رضيعا من فصيلة الإنسان؟! فهي من أكثر الوحوش دموية وحبا للدماء.
لكننا في الماضي صغارا وكبارا، كنّا نستبعد أن تكون القصة حقيقة.. لا بد أنها قصة للتسلية، مجرد خيال للترويح عن الأطفال.
أما اليوم فأخذ يدور بيننا شك وحوار، أيضاً صغارا وكبارا، لماذا نكذب قصة الذئبة ونصدق أن إنساناً أدمياً يغتصب ابنة ثلاث سنوات، أو ست سنوات، أو تسع سنوات، أو أثنتي عشرة سنة، أليست هذه أغرب من الخيال..؟؟
وهناك من قال أن وحش آدميّ اغتصب ابنة ستة شهور، هل أصدّق هذا ولو أقسم لي محدّثي بالتوراة والإنجيل والقرآن (أنا الإنسان) ولكي لا يدخل قلوبنا شك، فالحديث موثّق على صفحات الجرائد، وسمعته من المذياع كما سمعه ملايين البشر، وصعقوا كما صعقت، وكذّبوا آذانهم كما كذّبت، وقالوا كما قلت: ألا ليت كان للإنسان قلب الذّئاب.
الطفلة تجلس الى جوار أمها تلتصق، تلتصق بها، تكاد تدخل رأسها في عبّها، في قلب صدرها، كأنها حبل النّجاة تخاف أن يفلت من يدها.
سألت إحدى الصديقات تنتقد، ولا يعجبها تصرّف الطفلة–وقد كنّ في زيارة زميلتهن:
– ما المشكلة؟ لقد كبرت ابنتك وما عادت طفلة؟ إنّها في سن التفتّح والانطلاق والجرأة والتحرر، كم عمرها؟
تنهّدت الأم، وغصّت بدمعتها: اثني عشر عاما.
– إنّه عمر ربيع الأحلام، أجمل سنوات العمر، ما الذي يلصقها بك هكذا؟؟ كأن الخوف يملأ قلبها.
استاءت الأم وقد كانت جدّ لطيفة ومهذّبة: دعونا نتحدث في موضوع آخر.. فذلك أفضل.
ساد الجلسة صمت، واحترم الجميع الموقف مأخوذاً، ولا يعرف ماذا يقول أو كيف يتصرف، فأخذت الصديقات يحدثن أنفسهن لا بدّ اننا فتحنا جرحا آلمها.
تثاءبت الطفلة داعب النعاس عينيها، نامت على صدر أمها، اقترحت إحداهن أن تحملها أمها الى السرير داخل غرفة نوم المستضيفة.
قالت الأم فزعة:
– لا أخاف ان تصحو، حمداً لله أنها نامت.
تبادلت الصديقات النظرات يستغربن قولها، وقالت إحداهن تنتقد، لا يعجبها تصرف الأم: الدلال الزائد يفسد الأطفال، وجميع الأطفال ينامون ويصحون، وما المشكلة؟ فجمحت الأم ولم تقدر الصديقات على لجمها، فانفجرت، ونزفت الدموع سيلاً تلقفته بمنديلها، خوفا من أن تبلل شعر الابنة المتوسدة صدرها.
الثقة الزائدة أيضا لا تقل ضررا عن الدلال المفرط.
أجبن جميعهن: لا نفهم؟؟ ماذا تعنين
– (لنا جار وكان يلاعبها ويلاطفها، وكانت تحبه، وإذا غاب تفتقده وتشتاق إليه. ذات يوم وبينما كنت خارج المنزل عادت الطفلة من المدرسة، وكانت عين الغدر ترقبها. طرق الباب، رحبت به الطفلة فرحة، وشعرت بالراحة والأمان. استدرجها الى غرفة الخزين خلف الدار، وهناك اغتصبها بوحشيّة تبرأ منها وحوش الغاب.
الفستان ممزّق، واللحم مدموغ بآثار ومخالب تقشعر منها الأبدان. اقترف جريمته وهرب. زحفت الطفلة خارج باب المخزن صرخت، وتجمّع الجيران، حملوها الى بيت إحدى الجارات الجميع مرتبك، الطفلة في ذهول ويتبعه صراخ، وثم إغماء ردّوها الي وهي في أسوأ حال.
– ذهبت بها الى الاطباء، جروح الجسد شارفت على الشفاء، أما جروح النفس فما زالت تدمي الأعماق. ومنذ ذلك اليوم وهي لا تزال على مثل هذا الحال. أذهب بها الى الطبيب النفسي مرتين في الأسبوع، وفي كل زيارة أسأل: كيف الحال أيها الطبيب؟.
– الحالة تستدعي الصبر وطول البال، الجرح في العمق سيدتي، وعلى الله الشفاء.
قالت زميلتها: ولكن الى متى لقد طال غيابك عن عملك؟
تنهدت: – قال المثل «لا عاش مالي بعد حالي» استغنيت عن الوظيفة.. استقلت من عملي.
– ولكن كيف ستتدبرين أمور حياتك؟
– هما خياران، لا ثالث لهما، إما ابنتي، واما وظيفتي، فاخترت مهجة كبدي.
– ألا من حل آخر.. فمتطلبات الحياة كثيرة ولا معيل لكما بعد وفاة زوجك.
– كيف والبنيّة تمسك بذيل فستاني بين الغرفة والغرفة؟
– وماذا عن مصير المجرم؟
– أمسكت به الشرطة، وعندما واجهته أعاتبه، وكيف فعلت هذا، وهي بمثابة ابنتك، وقد أوصاك بها والدها رحمه الله وهو على فراش الموت؟!
– أغواني الشيطان.
أجابه الضابط: هل حقا هناك شيطان....؟

للاتصال أو للمراسلة مع طاقم شؤون المرأة

المشرف العام: روز شوملي مصلح
المدير المسؤول: لبنى الأشقر

شارع الارسال – مركز عواد
ص.ب : ٢١٩٧ رام الله
هاتف : ٢٩٨٦٤٩٧ – فاكس: ٢٩٦٤٧٤٦
بريد الكتروني: (watc__media@palnet.com)

مطابع الأيام ٢٩٨٧٣٤١/٤ فلسطين - رام الله
تطبع في مطابع الايام

يسعى الى توثيق التجربة الاعتقالية

الإعلان عن تأسس مركز دراسات الأسرى الثقافي التنموي «تكوين»

خاص-صوت النساء

في الرابع من حزيران الجاري أقامت جمعية الأسرى والمحررين الفلسطينية، حفلا تكريميا في قاعة البروتستانت في رام الله، لعدد من الأسرى الذين استشهدوا في أقبية التحقيق وزنازين العزل في سجون الاحتلال او بعد خروجهم منها، وكذلك للأسرى الذين اعتقلوا العام ٦٧ وامضوا أكثر من سبعة أعوام في الأسر، وتم أيضا خلال الحفل تكريم الأسرى الذين أمضوا أكثر من ٢٥ عاماً في سجون الاحتلال، وعدد من الأسيرات اللواتي برزن في سنوات الثورة الأولى، في الوقت الذي كان مجرد خروج المرأة من بيتها يعتبر أمراً محرما، وكان من بينهن عايشة عودة ولطفية الحواري ومريم الشخشير وفاطمة البرناوي.

توثيق التجربة الاعتقالية

وأعلنت جمعية الأسرى والمحررين في حفلها عن تأسيس مركز دراسات الأسرى والمحررين الثقافي التنموي «تكوين»، والذي يعنى بشؤون الحركة الأسيرة الثقافية ومن أحد أهدافه توثيق التاريخ الشفهي والمكتوب لتجربة الأسرى والمحررين من السجون الاسرائيلية على مدار أعوام الثورة الفلسطينية.
وقال أحمد أبو غوش رئيس جمعية الأسرى والمحررين ان رحلة الأسرى والمحررين مع الثقافة والعلم هي رحلة مشهود لها، فقد تحولت السجون الفلسطينية الى مدارس للنصر، وهذا ليس وهما أو ادعاء، فقد أثبتت الدراسات أنه وفي معتقل طولكرم أبان سنوات الثورة في السبعينيات والثمانينيات بلغ معدل ساعات القراءة عند نصف الأسرى أكثر من ٤ ساعات يومياً، في حين بلغت ساعات القراءة عند ثلثهم نحو ٦ ساعات يومياً، وعند خمسهم نحو ٨ ساعات فأكثر، في حين استطاع عدد كبير من الأسرى إتقان اللغات العبرية والانكليزية داخل الأسر، هذا فضلا عن اللغة الفرنسية والأسبانية، كما استطاع أكثر من نصف الأسرى إنهاء تعليمهم الثانوي داخل السجون، والانكباب على دراسة التاريخ والفلسفة والأدب، مما نتج عنه فيما بعد الكثير من الكتابات والأبحاث لأسرى قاموا بإنجازها من داخل المعتقلات، وكل ذلك أدى الى ما يعرف بأدب السجون.
وأضاف أبو غوش ان الهدف من إنشاء هذا المركز هو تعزيز دور الأسير في القضية الفلسطينية وتوثيق الكثير من الشهادات والتجارب التي عايشها الأسرى والمحررون الفلسطينيون والعرب في السجون الاسرائيلية.

بقعة مضيئة

واعتبر وزير الثقافة يحيى يخلف إنشاء مركز دراسات الأسرى بقعة مضيئة في طريق توثيق التجربة الاعتقالية، وقال: «ان جمعية الاسرى والمحررين وهي تتنادى اليوم من أجل الإعلان عن مركز دراسات الأسرى والمحررين الثقافي التنموي، إنما تمثل بقعة مضيئة على طريق تبؤ هذا الملف الموقع العالي والمكانة التي يستحق في كافة أوجه حياتنا، وخاصة الثقافية منها..»، وتابع يخلف: «الشعب الفلسطيني هو الذي أوجد ثقافة الصمود وهي أعلى أشكال المقاومة، وهذا يفضي بنا جميعا الى جبهة الأمل، على الرغم من الصعوبات ومن وجود دوافع كثيرة تدفعنا الى اليأس، والإحباط، لكن تجربة الأسرى في السجون تدفع بنا نحو التمسك بهذه الجبهة أكثر فأكثر..».
وأشاد يخلف بالدور الذي سيلعبه مركز دراسات الأسرى والمحررين في مجال توثيق التجربة الاعتقالية، حيث أن جزءاً كبيراً من هذه التجربة لا يزال في صدور من عايشوها دون أن يتاح له فرصة الكتابة عنها، ويجب أن يقوم هذا المركز بدور الحافظ لهذه التجارب كي تبقى للأجيال القادمة النموذج والأمثولة..»

في أعلى درجات العطاء

وقال المحرر أبو الحسن حجاوي الذي ألقى كلمة الأسرى المحررين: «أن إنشاء مركز لدراسات الأسرى هو خطوة في الاتجاه الصحيح، حيث أن المعتقلين الفلسطينيين اليوم هم في أعلى درجات العطاء والتقدم نحو إنجاز ما يمكن إنجازه في مسيرة تحرير الأرض والإنسان..»، وأضاف أبو الحسن ان الأسرى في سجون الاحتلال يواصلون الليل بالنهار في سبيل محو الأمية بين جميع الأسرى، ويواصلون هذا النشاط الثقافي بعد تحررهم أيضاً..»، وشدد أبو الحسن على ضرورة ضمان حقوق الأسرى خاصة الثقافية منها، ودعا الى جمع الكتب النضالية والثورية وتأمين إدخالها الى السجون والمعتقلات للاستفادة منها، وكذلك الى التركيز أكثر على قضية الإفراج عنهم دون قيد أو شرط، وتعزيز دور الاعلام في رفع قضيتهم الى أعلى المستويات..

أهداف المركز...

ويسعى مركز دراسات الأسرى الذي يتم إنشاؤه بدعم من عدد من المؤسسات والشركات الفلسطينية، الى تحقيق جملة من الأهداف المعلنة، وتقول ختام خطاب أمينة سر جمعية الأسرى والمحررين المسؤول المباشر عن المركز، ان المركز سيمنح العضوية لكل أسير ما زال يقبع في سجون الاحتلال، وكذلك المحررين والذين عايشوا التجربة الاعتقالية من الأسرى العرب والفلسطينيين.
وأضافت أن أهداف المركز تتمثل في عقد ورشات عمل وندوات دورية حول نمط حياة الأسرى داخل السجون وتأثيره على التكوين النفسي والقيمي للأسرى، لتلخيص هذه التجربة وتقييمها وتعميم نتائجها الجيدة، وكذلك محاولة إبراز أهم إنجازات الأسرى خاصة التجربة الديمقراطية، حيث ساد في داخل السجون نمط حياة ديمقراطي في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات، مكن الأسرى من العيش في ظل الأسوار والقيود بحالة نفسية شبه طبيعية، ويسعى المركز أيضاً الى إبراز تجربة الأسرى في خلق نمط حياة اقتصادي قائم على المساواة والتكافل والتعاضد، مما ساعد على منع اضطهاد الضعفاء، وأيضاً بحث ودراسة نمط الحياة الثقافي الذي عاشته مجتمعات الأسرى، لدراسة تأثير ذلك على بنيتهم الفكرية والقيمية، وانعكاس ذلك على قدرتهم على العطاء بعد تحررهم، ويهدف المركز أيضاً الى جمع ودراسة وتقييم إبداعات الأسرى والمساعدة على نشرها، وتطوير «تكوين» الى مؤسسة قادرة على تأهيل الأسرى نفسيا ومهنيا واجتماعيا بإنشاء مراكز التدريب لتسهيل دمجهم في المجتمع، وسيعمل المركز على هذا الصعيد خاصة على الاهتمام بالأسيرات المحررات لأنهن يعانين أكثر من غيرهن من مشاكل لا حصر لها داخل الأسر وخارجه بعد تحررهن، وذلك بمساعدتهن على كافة المستويات تدريبا وتأهيلا نفسيا ومساندة اجتماعية، وتمكينهن من تحقيق قدراتهن وحقوقهن ووضعهن في الحياة الاجتماعية الفلسطينية. الى جانب الاهتمام بالأسرى الأطفال الذين تعرضوا للقمع في فترة مبكرة من حياتهم، وكذلك الانقطاع عن الدراسة، ومساعدة كبار السن من الأسرى على تطوير نمط حياة طبيعي خاصة للأسرى الذين أمضوا فترات طويلة داخل المعتقل وحرروا وهم في سن يصعب معه البدء من جديد لتشكيل عائلة والاندماج في الحياة الاجتماعية بسهولة.
ويضيف المركز الى أهدافه ايضاً تطوير آليات تعزيز دخل الأسرى لأن معظمهم عانى من قطع في نمط حياتهم العادي. فبعضهم انقطع عن الدراسة والكثير منهم فقدوا وظائفهم وأعمالهم. ويرمي المركز أيضاً الى دعم القيم الإنتاجية من خلال محاربة النمط الاستهلاكي المروج للسلع الأجنبية والاسرائيلية وتشجيع الاستثمار في السلع المحلية.
ويقول القائمون على المركز إنه من أجل تحقيق الأهداف السالفة سيقوم المركز من خلال نشاط أعضاء الجمعية المهتمين كل حسب تخصصه، ومن خلال الهيئة الاستشارية المزمع عقدها من ذوي الخبرة والتخصصات المختلفة، على وضع الخطط المفصلة والدراسات الموسعة لتحقيق هذه الأهداف.

قضاء الأحداث بين الممارسة والتشريع

دراسة مقارنة للتشريعات المتعلقة بالأحداث

عماد موسى

قضايا الأحداث بين الممارسة والتشريع كتاب صادر عن الحركة العالمية للدفاع عن الأطفال، فرع فلسطين في آب ٢٠٠٤ وقد جاء في أعقاب المؤتمر الفلسطيني الأول حول قضاء الأحداث والذي عقد تحت شعار «نحو قضاء عادل ومستقل للأحداث».

تتكون الدراسة من مقدمة تعرض «الخلفية العامة للدراسة وإبراز أهميتها وأهدافها ونطاقها ومنهجيتها والصعوبات التي واجهتها وتقسيماتها وتعريفات، ومن فصل تمهيدي لاستعراض حماية الحدث في الاتفاقات الدولية وتعريف الحدث وسن المساءلة الجزائية ومن ثلاثة فصول: الأول، يعالج مرحلة التحقيق الابتدائي مع الحدث وجمع الاستدلالات بشأنه وتحريك الدعوة القضائية ضده، والقبض عليه وإخلاء سبيله بالكفالة والتوقيف الاحتياطي له وإجراءات التحقيق معه، وإحالة الدعوى إلى المحكمة المختصة واحتجاز الحدث رهن المحاكمة وانسجام الاجراءات المتبعة في مرحلة التحقيق الابتدائي بين القانون المحلي والواقع ومعاملة الأحداث اثناء فترة التحقيق الابتدائي.

وأما الفصل الثاني فقد عالج محاكمة الحدث والجهة المختصة بمحاكمته والإجراءات الخاصة بهذه المحاكمة وحضور الحدث الى المحكمة وسرية الجلسات والاستعانة بمحام وإجراءات التحقيق النهائي وصفات الاجراءات المتبعة والمناداة على الحدث وسؤاله عن اسمه وسنه... وتلاوة التهمة عليه وسماع الشهود واستجواب المحكمة للمتهم والتحقيق الاجتماعي وتقرير مراقب السلوك. في حين عالج الفصل الثالث الأحكام الصادرة عن محكمة الأحداث وسرعة الفصل في القضايا وعلانية الحكم وإعفاء الحدث من المصاريف القضائية وإشراف المحكمة على تنفيذ أحكامه ووقف تنفيذ العقوبة بحق الحدث.

أهمية الدراسة وأهدافها

وقفت وراء اختيار هذه الدراسة مجموعة من الدوافع والاسباب أهمها (عدم وجود دراسات وأبحاث متخصصة في الموضوع مستندة للواقع ومبنية على تحليل قضايا الأحداث في فلسطين وتعامل القضاء مع ظاهرة جنوح الأحداث كظاهرة إجرامية تقتضي الردع الاجتماعي، وعدم حداثة القوانين المطبقة بخصوص الجانحين في الضفة الغربية والتي تعود الى تدخل الأجهزة الأمنية في القبض والتحقيق مع الأحداث، وعدم فصل الأحداث عن البالغين خلال التوقيف الاحتياطي، وعدم اتباع الإجراءات القانونية في التوقيف والتمديد، وطول فترتي التحقيق الابتدائي ومحاكمة الأحداث، مع التشدد في مسألة الإفراج بالكفالة عن الحدث، وعدم الالتزام بإحالة الأحداث الى مراقب السلوك، وعدم ربط قرارات التجريم بقانون إصلاح الأحداث وعدم الإشراف على تنفيذ الأحكام بحق الأحداث.

ثالثا: القصور في مشروع قانون الأحداث: تقول الدراسة بأن قانون الأحداث جاء مطابقا لقانون الأحداث المصري لسنة ١٩٧٤ على الرغم من أن القانون قد عدل عام ١٩٩٤ بعد انضمام مصر لاتفاقية الطفل ويظهر القصور في تعريف الحدث بما يتناسب مع جنوح الأحداث بوصفها ظاهرة اجتماعية لا بوصفها ظاهرة إجرامية وفي عدم وضع ضمانات خاصة بالتحقيق الابتدائي وعدم تنظيم التوقيف الاحتياطي للأحداث فوق سن ١٥ سنة. وعدم النص على اجراءات خاصة لمنع اختلاط الأحداث بالبالغين أثناء المحاكمة. مع عدم إعطاء حيز للضابطة القضائية للتعامل مع قضايا الأحداث، وعدم النص القانوني على وجوب تمثيل الحدث في فترة التحقيق الابتدائي، وربط موضوع التمثيل القانوني بالاقتدار الاقتصادي.

التوصيات

وتوصلت الدراسة الى عدد من التوصيات أهمها: «يتوجب على المشرع الفلسطيني إعادة النظر في جوانب القصور التي اعترت مشروع القانون، لأن منظومة ضمانات الأحداث العصرية هي منظومة واحدة قابلة للتطبيق في المجتمعات المتحضرة، ولكونها نتاج ثورة الإنسانية في مفاهيم حقوق الإنسان ولا يترتب على اجتزائها سوى قانون انتقائي يحمل في طياته عوائق تطبيقه. كما يجب تفعيل حماية الأحداث من سوء المعاملة التي يتعرضون لها خلال القبض عليهم واستجوابهم وذلك بتشديد العقوبات على الجرائم الواقعة على الموظفين العامين والى مدى مطابقة الإجراءات المتبعة في محكمة الحدث ونصوص القانون المحلي ومعرفة دور وكيل النيابة وقاضي الموضوع ومراقب السلوك في إدارة محاكمة الحدث وأثر تقرير مراقب السلوك على المحاكمة.

الاستنتاجات

وقد توصلت الدراسة الى عدد من الاستنتاجات المهمة وهي: «كشف الدراسة عن مدى القصور في محاكمة الأحداث سواء بسبب قدم قانون إصلاح الأحداث الأردني الساري وعدم عصريته أو لعدم التزام جهات تطبيق القانون والمحاكم بنفس هذا القانون، بالإضافة الى أن مشروع قانون الأحداث لم يعالج أوجه القصور التي اعترت القانون الساري وجاء قاصرا في جوانب كثيرة ويمكن استعراض هذا القصور فيما يلي:

أولاً: قصور الاجراءات في القانون الساري: فعدم وجود نص على تشكيل ضابطة قضائية خاصة بالأحداث وعلى تشكيل محاكم استثنائية خاصة بهم وعدم النص على تشكيل محاكم استئناف خاصة بالأحداث وانخفاض سن المساءلة الجزائية الى تسع سنوات وهذا يتناقض مع النظرة العصرية لقضاء الأحداث، وعدم وضع قيود خاصة على تحريك الدعوة القضائية، وترك سلطة تقديرية واسعة في مسألة احتجاز الحدث وتوقيفه مع الكبار ووضع قيود مبالغ فيها للإفراج عن الحدث وعدم النص القانوني على وجوب التمثيل القانوني للحدث وعدم النص على ضمانات خاصة بالتحقيق والاستجواب مع الحدث وعدم إعطاء حيز للضابطة القضائية للتعامل مع الحدث وعدم النص على ضمانات خاصة بالتحقيق وعدم إعطاء التحقيق الاجتماعي مع الحدث أهمية حقيقية وعدم اعتباره جزءاً من اجراءات المحاكمة، وعدم النص على اعتبار قضايا الأحداث قضايا مستعجلة وعدم النص على تنفيذ العقوبة. ثانيا: القصور في تطبيق القانون الساري: هناك قصور في تطبيق هذا القانون من طرف الضابطة القضائية والمحاكم ويمكن ابراز أهم جوانب هذا القصور فتتمثل في: تعرض الأحداث للمعاملة القاسية والتعذيب أثناء التحقيق الابتدائي. وجريمة المعاملة الحاطة بالكرامة الإنسانية وأن تقوم السلطة بوضع الأنظمة موضع التنفيذ من خلال النص على صلاحيات وواجبات الضابطة القضائية.

خلاصة

تعتبر هذه الدراسة من الدراسات النادرة التي تعرضت لقضية الأحداث بالمعالجة والدرس من خلال الجمع والتقصي والتوثيق لقضايا الأحداث المنظورة في المحاكم الفلسطينية، الأمر الذي مكن هذه الدراسة من اكتشاف الثغرات القانونية على المستويين التطبيقي والتشريعي ما دفع الدراسة الى مطالبة المشرع الفلسطيني بإعادة النظر في مشروع قانون الأحداث من أجل إقصاء كل مظاهر القصور التي اعترت القانون الساري.

الزواج يا سادة

رائد عبد الرازق

ما هو الزواج أيها السادة؟

قد يستغرب البعض هذا السؤال ويقولون: ومن لا يعرف الزواج؟ انا أعي ان الكل يعرف ما المقصود بالزواج، لكن هل الكل يعي المعنى الجوهري لكلمة زواج؟ هل الكل يعرف عمق مفهوم الزواج؟ هل الكل يدرك الفلسفة السامية التي ينطلق منها الزواج ويغذيها؟ الجواب بلا شك «لا» وإلا لما كان حال المتزوجين لدينا كما هو اليوم، سيقول آخرون «ومال المتزوجين كلهم يعيشون بخير» فأرد قائلاً: ادخلوا عينات عشوائية من البيوت واسمعوا من الازواج والزوجات، ستعرفون بعدها اننا لسنا بخير ابدا وأن حالنا سيىء على هذا الصعيد، راجعوا المحاكم الشرعية، تفحصوا بعض احصائيات مراكز رعاية النساء لتدركوا حجم المأساة، وضعنا سادتي ليس بخير مطلقاً ونحن مهددون بالانفجار في اية لحظة من الناحية الاجتماعية.

الزواج يا سادة هو اتفاق (عقد شراكة) بين رجل وامرأة (جنسين مختلفين) ليعيشا معاً مكونين أسرة (خلية) جديدة في المجتمع (النسيج) الذي يعيشون وسطه، هذان الشخصان قد لا يكونان من نفس النسق الفكري او الطبيعة العقلية وقد تكون مفاهيمهما مختلفة وآراؤهما متضاربة ووعيهما للأمور متناقض، لكن ذلك لا يعني ان هذا الارتباط سيفشل، بل يحتاج للإرادة كي ينجح، ومكمن القوة هو احترام الغير والقبول بالرأي الآخر.

الزواج تواصل وتراحم واختلاط للدماء، وهل هناك أقدس من ذلك؟

وعندما نقول ان الزواج هو عقد اتفاق فمعنى ذلك ان لكل طرف من طرفي الاتفاق حقوقاً وواجبات واضحة ولا لبس فيها، فلو يعي كل زوج وزوجة ذلك لكنا بخير.

سيقول بعض المعترضين اننا احسن من أمم كثيرة ونحترم المرأة ونقدرها، أعترض وأقول لماذا لم ننتصر اذاً؟ سيقولون وما دخل المرأة في النصر؟ فأرد قائلاً: اذا كانت الأم المربية والمرضعة والوالدة ليست حرة وتتحكم فيها افكار بالية تحولها بحجة الدين الى جارية فكيف ستربي أحراراً يرفضون الهزيمة. أليس كلامي معقولاً، يجب ان نمتلك الشجاعة الادبية والاخلاق السامية ونعترف بأننا جميعا لسنا أحراراً والسبب ان أمهاتنا اللاتي ربيننا لسن حرات، وليست الحرية ان تأكل وتنام وتلبس، بل الحرية ان يكون لها رأي ومشورة ومساهمة في القرار، سيقولون انك تحرض على تمرد المرأة، فأقول ببساطة شديدة راجعوا آيات القرآن ونصوص الاحاديث وقصص الرسول والصحابة ستجدون اننا نعامل النساء كرقيق بحجة الدين والقيم، في حين الدين براء مما نقول.

الزواج يا سادتي شيء آخر، ليس عرساً فنوماً فجنساً فأولاداً فأكلاً وما اليه، الزواج مؤسسة كاملة بمقومات كثيرة، شراكة بحقوق وواجبات، بناء لأجيال وتكوين لمجتمع، الزواج شيء اقدس مما تتخيلون، لا يعني ان تمتلك مهراً بأنك مؤهل للزواج، ولا يعني كونك ذا دخل فإنك مؤهل للزواج، الزواج يتطلب الوعي الكافي والقدرة على تحمل المسؤولية والإصرار على النجاح، الزواج ليس حفلة ماجنة يتنطط فيها الشباب كالذي يتخبطه الشيطان من المس او كالمصعوق بالكهرباء او كالمسكوب على رأسه القطران.

الزواج اروع مما نعرف ونتخيل بكثير، نحن نتزوج لتصبح لنا نساء ينجبن لنا الاطفال ونقمعهن فقط لنظهر بأننا رجال، ودليلي فيما اقول اننا كلنا نعتبر من يعطي زوجته حقوقها الكاملة بأنه غير رجل ونعتبر من يتعامل مع زوجته بإنسانية بأنه محكوم، أليس كذلك؟ لكن في الزواج اشياء أسمى من ذلك بكثير، الزواج نضج ووعي وتكامل للبناء الجسدي والنفسي والمعنوي.

ويؤكد قولي كل الأبحاث والدراسات التي تثبت ان المتزوجين اطول عمراً من العزاب، وان المتزوجين اكثر صحة وبعداً عن الامراض من غير المتزوجين، وان المتزوجين لديهم القدرة على التعامل مع الصدمات والمواقف الصعبة اكثر من غيرهم، وان من يعيش حالة حب يفرز عقله العديد من الاشارات التي تؤدي لإفراز هرمونات كثيرة تريح القلب، فهل يعي كل منا معنى ذلك؟ لا أعتقد، بل اكاد اجزم بأن لا احد منا يعرف ذلك، اقرؤوا يا سادة لتعرفوا معنى الزواج الحقيقي.

الزواج يا سادة مودة (حب) ورحمة (لين وتواصل) وسكن (هدوء للنفس) ولكل كلمة من الثلاث مجلدات من العلم والمعرفة والحقائق، وليس الزواج قمعا وقهرا وإرهابا، فارحمونا وافسحوا المجال لولادة جيل حر علنا ننتصر ولو مرة على هزائمنا الداخلية على الأقل.

«الدكاكين النسوية الريفية»

قدرات فائقة على العمل والإنتاج

شهناز عبد الرازق

تحاول فريال عبد الرازق جاهدة استغلال خبراتها ومهاراتها في التصنيع الغذائي من اجل عرض منتجاتها الغذائية في دكان «بيتنا» والذي انشىء حديثا في مركز طوباس النسوي في محاولة حثيثة منها لخلق فرصة عمل من شأنها إدرار دخل عليها وعلى أسرتها. ولم تكن هذه المواطنة العاطلة عن العمل منذ قرابة الخمس سنوات حيث كانت تعمل في احد مشاغل الخياطة العامة في المنطقة تفكر في هذا العمل بشكل فردي مسبقا لولا انه تناهى الى مسامعها أن هذا التوجه بات بمثابة الظاهرة لدى نساء منطقتها الأمر الذي جعلها من أولى المؤسسات لهذه الفكرة النسوية.

وتشير الى أنها خضعت خلال السنين الخمس الماضية للعديد من دورات التصنيع الغذائي المتخصصة والمنوعة وذلك من خلال العديد من المراكز والمؤسسات إلا ان استفادتها تلك كانت مقتصرة على التصنيع للاستهلاك البيتي فقط موضحة أنها تشجعت كثيراً لفكرة تأسيس الدكان الأمر الذي دفعها للشروع الفوري في الانتاج. وبذلك بدأت فريال بما تنتجه حديقة أسرتها المنزلية فوجدت أن لديها فائضاً من الاسكدنيا فلجأت الى عمله مربى كان في غاية اللذة فيما عمدت الى تحضير كميات من الزعتر والعسل والميرمية التي تجلبها من بستان أبيها في منطق الحمة في الأغوار الشمالية لتقوم بتسويقها في المركز النسوي.

وقد كانت "صوت النساء" شاهدة على جودة ونوعية ما تقوم بتصنيعه فريال وبقية زميلاتها في المركز النسوي. ويزخر هذا الدكان بكم لا بأس به من منتجات النساء كالزعتر واللبنة والملوخية المجففة والسمسم وورق الدوالي والكشك والفريكة والبرغل والمعجنات والحلويات بأنواعها المختلفة.

وكانت عدة مراكز وتجمعات نسوية لجأت الى تأسيس محلات خاصة تعرض فيها منتجات النساء المصنعة بيتيا، وفي حقيقة الأمر تحاول هؤلاء النسوة الاقتراب من الماضي التقليدي البدائي لكن بصورة تكاد تكون أكثر حداثة، بعد أن خضعن لدورات تدريبية متخصصة في هذا المجال. وتستغل هؤلاء النسوة عموما في جميع التجمعات المواسم الفصلية للمنتجات لشراء اكبر كمية منها مستغلات بذلك انخفاض الأسعار وفقا للقاعدة الاقتصادية التي تبين انخفاض اسعار السلع الاساسية في حالة زيادة العرض.

الأول من نوعه

وللدكان الريفي في بلدة طمون جنوب شرق مدينة طوباس خصوصية كبيرة حيث كان الأول من نوعه ليس في المنطقة فحسب وإنما في مناطق أخرى مجاورة. وعن فكرة تأسيس هذا الدكان الذي انشىء منذ أربع سنوات واتخذ من المركز النسوي الاجتماعي في البلدة مقرا له قالت ربحية بني عودة رئيسة المركز أن البداية كانت أن تحضر كل سيدة ما لديها من فائض إنتاج يزيد عن حاجة عائلتها لتتم عملية بيعه داخل المركز دون ان يكون هناك مكان ثابت لتلك المنتجات الأمر الذي لاقى إقبالا كبيرا من قبل النساء اللواتي كن يقمن بعملية تسويقية كاملة في ساعتين تقريبا من كل اسبوع وهي مدة اللقاء الأسبوعي للنساء في المركز.

وأردفت قائلة «غير اننا لمسنا بعد مدة ان لدينا كماً هائلاً من المنتجات التي يمكن تخزينها داخل المركز كالمواد المجففة والمخللة والمعلبة وغيرها الأمر الذي حدا بنا الى تأسيس هذا الدكان. أوضحت ان رفد الدكان بالمنتجات قد يتم بشكل فردي فتقوم السيدة بتصنيع ما ترتأيه في بيتها لتقوم بعرضه في الدكان أو بشكل جماعي حيث تقوم مجموعة نساء بشراء المادة الأساسية بشكل جماعي ومن ثم تصنع او تجفف بشكل جماعي أيضاً ولكن في مقر المركز.

وتبقى عقبة التسويق هي الأولى والأخيرة التي تواجه هذا المشروع النسوي كما تقول ربحية بني عودة وهو الأمر الذي دفعها وبقية زميلاتها أحيانا لحمل المنتجات وعرضها على بيوت البلدة والمعارف والجيران بشكل شخصي وهو الأمر الذي فتح بابا تسويقيا جيدا رغم محدوديته كما تقول.

وتضيف: «بذلك نجحنا في فتح أبواب تسويقية لمنتجاتنا في داخل البلدة وفي مدينة طوباس المجاورة ومخيم الفارعة القريب». وثمة خصوصية اخرى لهذا الدكان وهو ان التراث الفلسطيني يشكل احدى زواياه الثابتة فهناك قسم خاص لبيع المطرزات وصواني القش ومنتجات الصوف الطبيعي وذلك حفاظا على تراثنا والذي يعتبر جزءاً أساسيا من وجودنا وكينونتنا كفلسطينيين كما تقول رئيسة المركز النسوي.

ونوهت ربحية الى أنه عادة ما يتم الاعتماد على الخبرات الذاتية المتوارثة لتصنيع منتجات هذا الدكان خاصة عندما يتعلق الامر بتصنيع الكشك والسمن البلدي والزبدة الريفية وصواني القش بحيث يتم الاعتماد هنا على خبرات نساء البلدة كبيرات السن وذلك لتكون التجارب أكثر نجاحا وفيها عبق من الماضي. وبينت ان لمنتجات هذا الدكان تجارب عديدة مع المعارض والبازارات المحلية حيث كان هناك اشادة بجودة هذه المنتجات واصالتها ونوعيتها.

فرص عمل ذاتية

من ناحية أشاد صلاح قصراوي مدير الاتحاد العام لعمال فلسطين فرع طوباس بهذا المنحى الذي تتخذه النساء كوسيلة مناسبة لإيجاد فرصة عمل ذاتية ومن ثم تحقيق مصدر دخل للأسرة منوها الى أن اهتمامات كل مركز نسوي او مجموعة نسوية تختلف من مكان لآخر في منطقة طوباس وذلك كل حسب ما تشتهر به منطقته ووفقا للمادة الاساسية التي تتواجد فيها.

ويضيف مثلا يكون التركيز على زيت الزيتون واستعماله في عدة منتجات حتى يصل الأمر الى تصنيع بترو كيماوي «صناعة الصابون» في قرية عقابا جنوب طوباس فيما نرى أن نساء منطقة الأغوار الشمالية يلجأن الى صناعة المخللات والمربى بشتى الاشكال والانواع وهكذا على بقية المناطق».

ويردف قائلا: «ان الظروف الاقتصادية الصعبة التي تعانيها النساء في عموم المناطق دفعتهن الى ابتكار اشياء إبداعية كثيرة في هذا المجال فلنساء الأغوار مثلا تجربة فريدة مع صنع رب البندورة والباذنجان وهي اصناف ذات طعم ونوعية عالية الجودة».

وأكد قصراوي ان منتجات النساء هذه تتمتع بقدر من الجودة والنوعية بشكل يجعلها قادرة على المنافسة بقوة في السوق وذلك ضمن معايير أخرى عديدة للمنافسة إلا أن المشكلة الوحيدة التي تعانيها هذه المنتجات تكمن في عدم وجود منفذ تسويقي باستثناء تلك التي تسوق على نطاق «محلي وبجهد شخصي». وعن تجربة المركز النسوي والاجتماعي في طمون أشاد مدير نقابات العمال بها واثنى عليها مبينا أن للأغلبية الساحقة من اولئك النسوة طابعاً نقابياً وذلك من خلال انتسابهن لنقابتي عمال الزراعة والتصنيع الغذائي مؤكدا على أن الاتحاد العام معني بدرجة كبيرة برعاية وتبني هذه المنتجات النسوية على الرغم من صعوبة التسويق ومحدوديته.

وتابع قائلا: اننا نعمل جاهدين لفتح أسواق محلية ومناطقية وخارجية لهذه المنتجات «مبينا انه وعلى الرغم من النشاة الحديثة لنقابة التصنيع الغذائي في الاتحاد إلا أن التركيز فيها يتم على الإطار التنظيمي التوعوي والتدريبي للنساء العاملات في هذا المجال.

وناشد القصراوي الجهات الداعمة والممولة الالتفات الى هذا القطاع من النسوة بغية رعاية منتجاتهن وتطويرها ومن ثم فتح الآفاق التسويقية لها.

تتمة - دعوة المؤسسات النسوية

المعزولة وسط المدينة، والأمر ينسحب أيضاً على صناع القرار الذين وفق وصف العشرات من النساء بأنه لا تربطهم بهن أية صلة أو علاقة خاصة بعد فوزهم في الانتخابات التشريعية السابقة.وتضيف حمد ان هناك مناطق على سبيل المثال مثل جباليا البلد تفتقر للمؤسسات المجتمعية والمراكز الثقافية، وان وجدت فهي تتركز في مناطق محددة، اضافة الى مناطق بطن السمين في رفح وشرق الشجاعية والزيتون وبعض الأحياء في المنطقة الوسطى، عازية أسباب عزوف المؤسسات عن تنفيذ البرامج التوعوية والتثقيفية في تلك المناطق لصعوبة الوصول اليها من ناحية ولقلة المؤسسات في تلك المناطق التي تسهل عملية التنسيق للمؤسسات الكبيرة، فبالتالي تجد تلك المؤسسات صعوبة في اجراء التنسيق فيها.

ظواهر سلبية

وتضيف حمد في السياق ذاته ان هناك عدة ظواهر اجتماعية سلبية في تلك المناطق، كارتفاع نسبة الأمية ووجود الأسر الممتدة وزيادة نسبة الطلاق وسط صغار السن نتيجة الزواج المبكر وزواج الأقارب على وجه الخصوص، ناهيك عن وجود نسبة كبيرة من الاعاقات جراء الأوضاع السالفة الذكر، اضافة الى معاناة تلك المناطق من الفقر المدقع.

وتسترجع حمد الحديث عن المشروع الذي سيتم خلاله تنفيذ نحو ٥٠ ورشة عمل في العشرات من المناطق المهمشة والنائية وعقد خمسة لقاءات مفتوحة مع صناع القرار، وأخيراً يختتم المشروع بعقد مؤتمر عام لتقييم كافة النشاطات والفعاليات التي نفذت خلال فترة المشروع، موضحة ان ورش العمل واللقاءات والندوات التي تعقد تركز في الأساس كوننا مقبلين على الانتخابات التشريعية واستكمال المرحلة الأخيرة من انتخابات المجالس البلدية، على التوعية بعملية الانتخابات من ألفها الى يائها، بدءاً من التسجيل وانتهاء بفرز الأصوات والنتائج مروراً بضرورة اختيار الإنسان المناسب سواء رجل أو امرأة في المكان المناسب، ناهيك عن التوعية بقانون الانتخابات الذي كفل حق الانتخاب لكل من الجنسين، وترسيخ وجود النساء في البرلمان والمجالس البلدية وعرض مبسط لمفهوم الكوتا «حصة النساء» ناهيك عن المواضيع ذات العلاقة بالنساء وواقعهن وتغيير المفاهيم المغلوطة تجاه المرأة وأفضلية الرجل عليها في مواقع صنع القرار. وقدمت حمد عدة مقترحات للنهوض بوضعية النساء في تلك المناطق منها على سبيل المثال، تكثيف النشاطات من قبل المؤسسات المجتمعية والنسوية على وجه الخصوص والخروج من دائرة المدينة واطار العمل مع النخبة من المجتمع وانشاء مؤسسات فاعلة ومؤثرة من قبل سكان المناطق أنفسهم لكونهم يدركون احتياجاتهم أكثر من غيرهم، وتنظيم حملة توعية من بيت الى بيت والعمل داخل الدواوين وتفعيل التواصل بشكل دائم مع سكان تلك المناطق عوضاً عن الموسمية كما وجهت دعوة لصناع القرار الى ايلاء الاهتمام لتلك المناطق كونها تمثل كثافة سكانية عالية ولها ثقل في حسم المعركة الانتخابية، لا سيما ان نسبة النساء مرتفعة بشكل ملحوظ فيها.

وأكدت ضرورة التكامل المؤسساتي في العمل وتعزيز التنسيق فيما بينها، والاطلاع على عمل المؤسسات الأخرى لمنع تكرار وازدواجية البرامج، كما وجهت دعوة للأحزاب وفصائل العمل الوطني الى تجاوز الثغرات السابقة التي ظهرت جلياً خلال الحملات الانتخابية، وعدم العبث بمشاعر الناخبين واستقطاب أصواتهم بالطرق المشروعة دون التعدي على حقوق الآخرين لضمان سير العملية الانتخابية بكل نزاهة وديمقراطية.

تتمة - رغم العادات والتقاليد

وحول إمكانية اعادة الانتخابات في محطتها التي راقبت عليها في رفح بعد صدور حكم قضائي بذلك تقول شلوف: «الحقيقة أني أشعر الآن بمسؤولية أكبر، وأدرك حجم العمل الملقى على عاتقي كمراقبة ورغم ذلك أشعر بأني أقوم بعمل شيء مفيد وتفاعلي في بناء مجتمع ديمقراطي».

الحلم الفلسطيني

وتوافقها الرأي منى شاهين التي عملت مراقبة محلية للجمعية الوطنية لتنمية المخيمات برفح قائلة: «كنت مصرة على المشاركة في المراقبة لأشعر بأني شاركت ولو بجزء بسيط في عملية البناء الديمقراطي ورغم محاولتي للعمل في الانتخابات الرئاسية إلا أنه لم يصدر لي بطاقة فحاولت في الانتخابات المحلية وحالفني الحظ بالعمل كمراقبة، وللحق أني بقيت حتى نهاية الفرز وكتابة تقريري حيث تجاوزت الساعة الثانية فجرا وكنت فخورة حقا بكوني أعمل لصالح بلدي». وتضيف شاهين: استوقفني مشهد لسيدة كبيرة في السن جاءت لتقترع وبالكاد كانت تستند لعكازها وابنها في ذات الوقت وبعد أن أشارت له بمن تريد انتخابه، أصرت على أخذ الورقة بنفسها لتضعها بالصندوق، لقد اقشعر بدني حين رأيتها كانت سعيدة جدا وكأنها ترى فلسطين أمامها بعد أن عاشت ويلات النكبة، ووجدت ان الأمر ليس بسيطا بل يمثل حلم كل فلسطيني بمشاركته في صنع القرار».

كلام الناس

ورغم تفهم عائلة شاهين لتأخرها في يوم الانتخابات إلا أن الحال لم يكن مماثلا لنور حجازي التي تخرجت من الأزهر تخصص علوم سياسية والتي شاركت في الانتخابات المحلية على مضض من عائلتها وإخوتها فتقول: «للأسف أني لن أتمكن من المشاركة في الانتخابات التشريعية كمراقبة فقد رفض إخوتي مشاركتي نظرا لتأخر الوقت وخوفا من حديث الجيران، فقد اضطررت للعودة في الثانية عشرة مساء وعدت مع أخي للبيت بسبب خطأ المشرف المسؤول عن توصيلنا لبيوتنا بعد انتهاء العمل».

وتضيف: «حاولت إقناعهم لكن دون جدوى، فاعتقادهم ان البنت لا يصح ان تتأخر لهذا الوقت–رغم موافقة والدي على عملي هذا باعتباره يوماً استثنائياً–لكن دون جدوى».

وتعتبر إيناس–مراقبة محلية–والتي أنهت دبلوم محاسبة من الجامعة الإسلامية ان مشاركتها كانت عبارة عن تجربة جميلة ورائعة فلم تشعر بخوف او رهبة بل تقدمت من بداية يومها وتعرفت بجميع المراقبين بالمحطة التي تراقب فيها وبقيت حتى الساعة الثانية والنصف فجرا تخللتها مراقبة دقيقة لكل ما يدور من حولها من سير للعملية الانتخابية فتقول: «كنت أحاول ان أكون يقظة فسجلت كل ما اعتقدت أنه ضروري لتقريري سواء أعداد المقترعين أو التجاوزات من قبل أفراد خارج أو داخل المحطة، فقد تلقينا تدريبا مكثفا من خلال مركز الميزان قبل التحاقنا بالعمل الرقابي، والحقيقة أني استفدت كثيرا من هذه التجربة فقد كسرت أي حواجز بيني وبين المجتمع».

قناعات

أما شادية القطروس خريجة علم مكتبات من جامعة الأقصى فتقول: «أصارحك أني كنت خائفة من خوض التجربة حيث شاركت في الانتخابات الرئاسية أول مرة، خاصة وأني منقبة إلا أني وجدت فتيات من مراكز وجهات رقابة مختلفة فزال خوفي وحاولت انجاز عملي على أكمل وجه وكتابة تقريري عن اليوم الانتخابي بأكمله».

وتضيف القطروس: «كان أبي رافضاً فكرة عملي لوقت متأخر يوم الانتخابات ولم أجد بدا من إقناعه وساعدتني خالتي في ذلك. وفي نهاية المطاف اتفقنا ان اعمل يومها وأبيت عند خالتي خاصة ان بيتها قريب من المحطة التي أعمل فيها، كما نجحت في إقناعه ايضاً بمشاركتي في الرقابة في الانتخابات التشريعية القادمة وهذا مبعث سرور لي، كما ان النقاب لم يشكل أي عائق بالنسبة لي». وتؤكد رنا النحال–بكالوريوس علم نفس حديث القطروس قائلة: «بالنسبة لي أعتقد ان موافقة الأهل هي ثقتهم في ابنتهم، فلو بقي الجميع متخوفاً ويحسب ألف حساب للناس والجيران لن يعمل أحد وقناعتي ما دمت أخدم بلدي ولا أقوم بشيء خطأ فلا يحق لأحد التدخل بشؤوني، والحمد لله ان عائلتي متفهمة وبإمكاني إقناعهم في حال اعتراضهم، كما أن مركز الميزان الذي عملت كمراقبة محلية من خلاله حاول أيضاً مساندتنا فوضعوا كل فتاة في أقرب مكان لبيتها كما اهتموا بتوصيل الفتيات لبيوتهن في حال انتهى عملهن فقد عدت في الثانية والنصف فجرا».

وتكمل: «لقد زاد هذا العمل ثقتي بنفسي، كما أن وجه المرأة الفلسطينية كان مشرقا فقد كانت هنالك العديد من الفتيات يعملن مراقبات منتدبات من جهات عديدة وعملن بجدية لا مثيل لها، وهذا أقل شيء يمكنهن عمله لصالح بلدهن».

جهات لا مسؤولة

اما المراقبة نجوى شمعون فتقول: «كانت تجربة الانتخابات تجربة ممتعة جدا لكن هناك بعض المنغصات التي ضايقتني أولها أن مكوثي حتى نهاية اليوم كانت إجبارية من قبل الجمعية التي مثلتها، حيث أعمل متطوعة فيها لمدة شهرين ولم يصرفوا لنا أي مقابل رغم ساعات العمل المتعبة والأسوأ من ذلك أن أحدا منهم لم يتصل بنا أو يطلب أي تقرير أو حتى يهتم باعادتنا لبيوتنا رغم تأخر الوقت فقد اضطررت أن أعود لبيتي في الحادية عشرة مشيا على الأقدام وقد أحرجني هذا الوضع كثيراً مع الجيران–خاصة أنهم كانوا قد وعدونا بإيصالنا قبل ذلك». وتضيف: «كنت في بداية اليوم سعيدة جدا بعملي لكن مع تأخر الوقت وعدم التواصل مع مسؤولي المؤسسة بدا القلق ينتابني، فالعمل بقدر ما تعطيه يعطيك لكن هنا لا أجد تفسيرا واحداً لهذه الصورة التي تكونت بداخلي، ورغم ذلك ارغب وبشدة بالمراقبة في الانتخابات التشريعية لكن مع مؤسسة تحترم مراقبيها وتهتم بهم».

وتقول سعاد بركات مراقبة محلية: «كانت المراقبات ملتزمات وهذه ملاحظتي الأولى، فقد شعرن بمسؤولية ملقاة على عاتقهن، ورغم اصطدامي مع مدير المحطة أكثر من مرة لعدم تفهمه لشكاوى تقدمت بها إلا أني سعيدة بمشاركتي وسأشارك في الانتخابات التشريعية القادمة».

وتضيف: «رغم أني عدت في الثالثة صباحا إلا أن أهلي كانوا متفهمين بل لاحقوني بالعديد من الاسئلة حول الانتخابات وكيفية الاقتراع وتوقعاتي، وكنت مبتهجة لإجابتهم رغم الإرهاق والتعب الذي حل بي بعد عشرين ساعة من العمل المتواصل». وتقول كاميليا شعت التي عملت كوكيلة لحركة فتح: «شاركت في انتخابات الرئاسة، بالإضافة للانتخابات المحلية لبلدية رفح وكانت تجربة مميزة فقد عملت مراقبة لقائمة الوفاء للأقصى في المحلية وزميل آخر، ولم يشكل نقابي أي مشكلة فقد التزمت بما هو مطلوب مني بتحديد عدد الناخبين، كم عدد الذين انتخبوا، الخروقات التي حدثت وما غير ذلك..»

وتستطرد قائلة: «في البداية شعرت برهبة خاصة في الساعات الأولى فقط ولحظة انتهاء الاقتراع والبدء في عملية الفرز إلا أني تجاوزت ذلك، وكامرأة فلسطينية لها نضالها لا بد ان اثبت دوري في كل مجال وأن أتواجد بشكل فاعل».وتقول سحر شعت خريجة من جامعة الأزهر: «عملت في انتخابات الرئاسة وانتخابات البلديات كمنسقة، حيث قمت بالإشراف على قرابة عشرين مراقباً ومراقبة في رفح، ورغم حجم المسؤولية والضغط وما رافق العمل من إرهاق لكن العمل كان جيدا وممتعا، وسعدت بمشاركتي في العملية الانتخابية التي كانت بشهادة العالم انتخابات نزيهة وديمقراطية».

وتضيف شعث: «بقيت حتى الثانية والربع صباحا فدورنا لا ينتهي بإغلاق الصناديق بل حتى انتهاء عملية الفرز وإعلان النتائج، ولم يعارض أهلي عملي بل هنالك تفهم من عائلتي وثقة متبادلة، فهنالك توجه نوعا ما إيجابي نحو الفتيات، وأصبح هنالك وعي بشكل أو بآخر».

اول مدير مستشفى في قطاع غزة

د. نجاة الأسطل نموذجاً مشرقاً للإدارة

مرفت ابو جامع

ليس عجبا أن ترد كلمة «إدارة» في قاموس اللغة العربية مؤنثة رغم التذكير الذي يلحق غالباً باسم الفاعل منها «مدير» وان أبدلنا الدال بالراء لتصبح الارادة سلاحا تشرعه المرأة في وجه مجتمع لا يرتضي لها إلا أن تكون ملحقا في هوية الآخر.

د. نجاة الاسطل مديرة مستشفى الأمل التابع لجمعية الهلال الاحمر الفلسطيني بخانيونس جسدت قصة نجاح للمرأة في مجال الإدارة واستطاعت ان تدير مستشفى بكل تعقيدات العمل الإداري والخدماتي على مدار اكثر من ١٠ سنوات لتسجل نموذجا مشرقا للإدارة. استقبلت الأسطل «صوت النساء» في مكتبها بخانيونس راسمة ابتسامة تنم عن حكمة وثقة بالنفس قائلة: "ان للمرأة قدرات لا تختلف عن الرجل اذا ما تمتعت بالشخصية القوية ورصيد من العلم والخبرة الكافية، واتيحت لها الظروف للعمل وإبراز طاقاتها وقدراتها، مشيرة ان تاريخ المرأة الفلسطينية حافل بنماذج نسوية رائدة في العمل النضالي والمؤسساتي والسياسي والاجتماعي".

وعرجت الاسطل الحاصلة على بكالوريوس طب وماجستير في الصحة العامة من جامعة القدس في ابو ديس الى بداياتها الاولى في العمل، فتطرق خزان ذاكرتها لتسرد انها عملت نحو ١٢ عاما منذ العام ١٩٨٣ طبيبة اسرة في مجال تنظيم الاسرة في عيادات وزارة الصحة وحتى العام ١٩٩٥ حظيت باحترام وتقدير الناس والأطباء في المنطقة.

تكريما لجهودي وكفاءتي

واضافت: "اما عملي في الهلال فقد بدأ منذ العام ١٩٩٦ حيث انتخبت رئيسا لفرع جمعية الهلال الأحمر بخانيونس لدورتين متتاليتين، وعضو مكتب تنفيذي للهلال في الداخل والخارج، قبل ان تتشكل المستشفى كنا نعمل كلجنة ادارية مكونة من ثلاثة أطباء اثنان منهم من مدينة غزة وانا من خانيونس أشرفنا على ترتيب هيكلها الفني والوظيفي والاداري لمدة اربع سنوات".

توقفت لحظة تلقت اتصالا هاتفيا واعطت تعليمات لأحد الموظفين وواصلت «قام المرحوم د.فتحي عرفات بتكليفي بإدارة المستشفى تكريما لجهودي ولمؤهلاتي وكفاءتي في العمل، وانني كنت احصل على اعلى رتبة تنظيمية كعضو للمكتب التنفيذي في الداخل والخارج، اعرف كل كبيرة وصغيرة بالمستشفى التي أشرفت على اعدادها منذ بدايتها، وكنت مع كل حجر يبنى فيها ارسم أملاً مشرقا لخدمة مدينتي».

على مدار الساعة

وتحدثت الاسطل عن ظروف عملها ذات التعقيد الاداري «في اكثر الاماكن احتكاكا بكل فئات المجتمع، وفي ظل وضع طبيعي سليم ووضع غير صحي، هذا يحتم العمل المتواصل على مدار الساعة ويتطلب الحكمة والتروي والصبر والقدرة على حل المشاكل وتذليل الصعاب امام عجلة العمل، كي تسير كعقارب الساعة دون صعوبات، لان هناك من ينتظر منا خدمات افضل هو في أمس الحاجة لها من أي وقت، نحاول ومجلس الادارة ان نرتقي بالعمل حتى ننال رضا الناس ونخفف من معاناتهم في اكثر منطقة من قطاع غزة تتعرض يومياً لممارسات الاحتلال اللاانسانية وتفتقر الى ادنى مقومات الحياة، من بطالة وفقر وانتشار الامراض بسبب تدمير البنية التحتية ومشكلة الصرف الصحي».

صمتت واستقبلت احد الزوار وأعطت الموافقة على تنظيم يوم طبي في منطقة ما بخانيونس ثم ضحكت بخفة وتابعت «كما ترين فإن ادارة المستشفيات من أصعب الأماكن متابعة طوال الوقت وظروف عمل ضغط في ظروف عادية، فما بالنا في وضع غير عادي يعيشه شعبنا نستقبل يوميا حالات كثيرة من محافظة خانيونس ومحافظة رفح أحيانا.

دبلوماسية في التعامل

وتتابع الاسطل انها تعمل ومجلس الادارة في ادارة ٢٠٠ موظف يعملون في المستشفى من بينهم ٣٠٪ نساء بحسب احتياجات العمل والكفاءات حيث لا نميز بين الرجل والمرأة، فالمعيار في الاختيار الحاجة والكفاءة وعدد من المتطوعين من طلاب الجامعات والمتدربين. وكذلك ادارة مستوصف معن الصحي وهو تابع للمستشفى أنشأ في منطقة معن لخدمة المواطنين، وهي منطقة كانت تفتقر للخدمات الصحية، وكذلك إقامة ايام طبية مجانية في المناطق النائية والمهمشة بشكل دوري بالتنسيق مع المؤسسات الأهلية في المحافظة، بهدف التخفيف من معاناة المواطنين الذين يلاقون جهداً ومشقة في الوصول الى خدمات المستشفى، خاصة مناطق التماس المجاورة للمستوطنات الاسرائيلية.

وتصف نفسها بالدبلوماسية في التعامل وأنها ليست ديكتاتورية الا في حدود القانون والنظام الذي يحكم طبيعة العلاقة بين مجلس الادارة والموظفين، وان كانت ادارة المستشفى مركزية الى حد ما فقراراتها تعود الى رئاسة الجمعية وانها رغم ذلك تمتلك هامشاً من القرار يخضع في احيان كثيرة لحالات الطوارئ واستثناءات تتطلب معالجة وحلها على الفور.

وتوضح الاسطل ان المدير الناجح هو الذي يجمع ما بين علم الادارة وممارستها العملية، ويعمل مع كافة مستويات الإدارة يشرف عليها ويتابع عملها باستمرار، وان يتمتع بالقوة العقلانية والتحلي بالصبر والحكمة وقبول النقد بروح طيبة من أجل تطوير الأداء والفصل بين العمل والحياة الشخصية. وحول نظرة المجتمع لها ترى الاسطل مسؤولة دائرة شؤون المرأة في محافظة خانيونس انه شيء طبيعي ان تكرم المرأة الكفؤة وتحترم من قبل المجتمع مؤكدة ان واقعنا الفلسطيني رغم بعض الشوائب التي تعتريه، افضل بكثير من مجتمعات أخرى لا زالت لا تمنح المرأة حقها في الترشيح والانتخاب، وفي مجال الادارة تشير انها حضرت العديد من المؤتمرات في ادارة المستشفيات في دول عربية، وقلما وجدت امرأة في هذا الموقع، وتنتقد ما يقال عن تضحيات تقدمها المرأة ثمنا لنجاحها بقولها «على العكس تماما المرأة المديرة في عملها هي ايضاً مديرة في بيتها ومنظمة، لكل ثانية في حياتها قيمة للبيت حق وللعمل حق، وعليها خلق البدائل احيانا لمساعدتها». وتتأمل الاسطل ان تخطو المرأة الفلسطينية خطوات كبيرة للأمام وتكافأ من المجتمع وتتقلد أعلى المناصب بحجم عطائها وتضحياتها.

وتفكر في الترشيح لانتخابات المجلس التشريعي المقررة في تموز القادم بعد طرحها من قبل شخصيات مسؤولة في المحافظة كوجه معروف ومعطاء عمل على مدى ٢٠ عاما في مجال العمل الخدماتي.

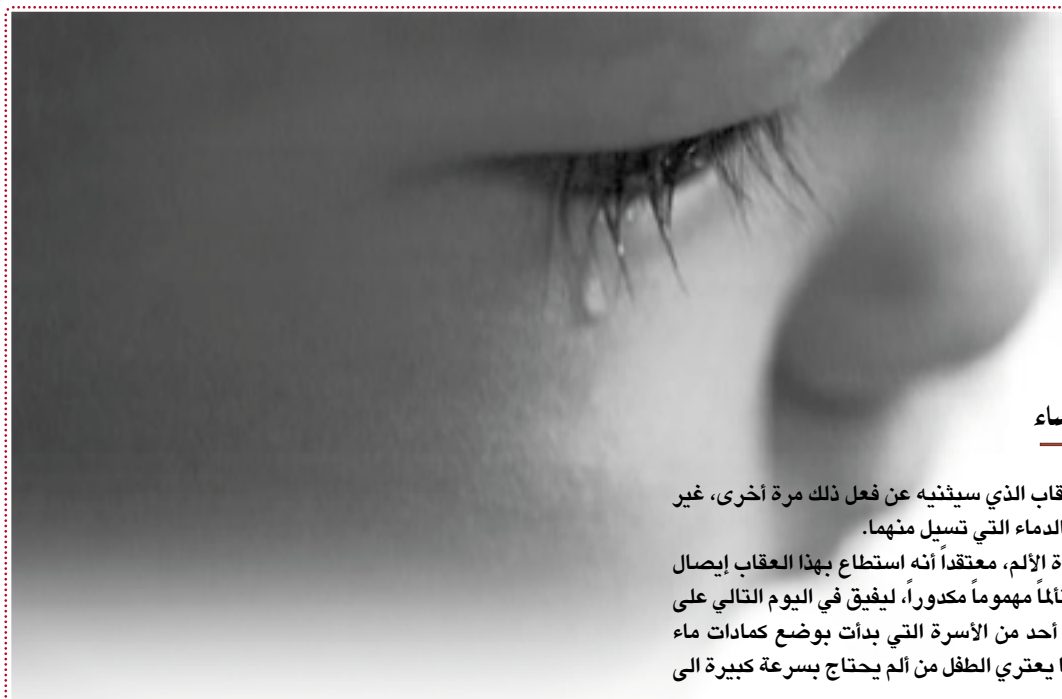

أب يتسبب في قطع يدي طفله باسم التربية

غزة-خاص صوت لنساء

«بابا-خلاص أنا مش رايح أعيدها ثاني-بديش أخربش على الحيطان- بس رجع إلي أيدي اللي قطعتهم».

ما إن نطق الطفل «محمد» الذي يرقد على فراش المستشفى، بهذه الكلمات بعدما أفاق من غيبوبته من آثار العملية الجراحية التي أجريت له، وتم خلالها بتر يديه الاثنتين، حتى انفجرت الأم باكية، وصرخ الأب بأعلى صوته ماذا فعلت بنفسي وطفلي، ولكن ماذا سينفع الندم بعد فوات الأوان. قصة محمد «اسم مستعار» قصة حقيقية حدثت في أحد أحياء مدينة غزة، اهتزت لها مشاعر من استمع وعرف بتفاصيلها، والتي بدأت حين انتقلت أسرة الطفل للسكن في منزل جديد تتسع فيه المساحة للعب ولهو الأطفال بعد أن كانت تضيق بهم مساحة المنزل القديم.

قرر والدا محمد زيارة بيت العائلة، وعدم اصطحابه معهما، رغم إلحاحه الشديد عليهما، والإبقاء عليه حبيس المنزل، لا يدري في أي شيء يفرغ كبته، ويستثمر وقته، ولكن بعد قليل قفزت الى رأسه فكرة، انفرجت لها أساريره، غير مدرك أنها ستكون سبباً في مأساته التي ستلازمه طوال حياته.

تناول الطفل محمد قلماً، وبدأ يرسم على الجدران ما يجول بخاطره، وما يشعر برغبة في إخراجه، وما ان وصل الوالدان الى المنزل، وشاهدا ما شاهداه من كتابة ورسوم اكتست بها الجدران، حتى جن جنون الوالد الذي سارع لإحضار إبرة حديدية، وبدأ يوخز بها يدي طفله في جميع النواحي، ظاناً ان هذا هو العقاب الذي سيثنيه عن فعل ذلك مرة أخرى، غير آبه بصراخ الطفل، أو حتى بالدماء التي تسيل منهما.

ترك الأب ابنه يصرخ من شدة الألم، معتقداً أنه استطاع بهذا العقاب إيصال رسالة له، نام الطفل ليلته متألماً مهموماً مكدوراً، ليفيق في اليوم التالي على ألم أشد وأفظع، دون التفات أحد من الأسرة التي بدأت بوضع كمادات ماء باردة على مكان الوخز الى ما يعتري الطفل من ألم يحتاج بسرعة كبيرة الى طبيب مختص لعلاجه.

بعد أسبوع ازداد الألم، وتورمت اليدان وازرقت، حتى تنبه الوالدان بعد فوات الأوان أنه ربما يحتاج الطفل الى طبيب، فحملاه معهما إليه، وهناك كانت الطامة الكبرى، والمفاجأة التي عقدت ألسنتهما، حين أكد لهما أن ما أصاب عظام يدي طفلهما «غرغرينة»، وهذا لا يمكن علاجه إلا ببتر الجزء المصاب بذلك. لم يصدق الأب في بادئ الأمر ذلك، وطلب اعطاءه مهلة ليفحص عند آخرين، وحين كان جوابهم واحداً، امتثل وزوجته لقرار الأطباء، ودخل الطفل الى غرفة العمليات بعد أن أعطي إبرة المخدر، ليعود بعدها راقداً على فراش المستشفى بيدين ملفوفتين بالشاش الأبيض بعد أن بترتا.

نظر الأب وزوجته في وجه طفلهما البريء، يسكبان من الدمع الكثير، ويحملان نفسيهما الذنب الكبير، ولكن ماذا سيفعل الندم بعد فوات الأوان؟

آفاق الطفل من غيبوبته ليبصر وجه والده شاحباً ويقول له: «بابا خلاص.. أنا تبت، مش رايح أخربش على الحيطان مرة ثانية.. بس رجّع لي أيديه».

وأمام هذه الحادثة الأليمة كان لا بد لأصحاب الاختصاص الادلاء برأيهم حيث قال الدكتور فضل أبو هين مدير مركز التدريب المجتمعي وإدارة الأزمات، كثيراً ما نتهم الاحتلال بأنه مصدر غرس الصدمات النفسية والسلوكية والخوف داخل أبنائنا، دون ان ندري ان أساليب تربيتنا لأبنائنا تغرس داخلهم من السلبيات ما يفوق عشرات المرات ما تركه الاحتلال من تأثيرات مدمرة.

وأضاف أبو هين إننا نعرض أبناءنا للهزيمة مستقبلاً، ونمدهم بأساليب سيئة في التعامل حينما نربيهم على الخوف والخنوع وعدم المناقشة، لأننا نحن بحاجة الى تربية صحيحة ديمقراطية بمعنى الكلمة، تربية يأخذ فيها الإنسان حقه في التعبير عن رأيه، تربية تتيح للصغير فرصة السؤال والمعرفة، وتعطي الكبير فرصة لاحترام رأيه، تربية تقرب النفوس، وتعطي للإنسان الشرعية لاحترام ذاته على أسس سليمة، وتعطي الفرصة للنشء الجديد الاستفادة من خبرات الكبار بصورة إنسانية فاضلة تترك آثارها الإيجابية في مستقبل الطفل صاحب الحقوق وشخصيته.

دراسة نوعية قامت بإعدادها مفتاح

اتجاهات صناع القرار حول الاستشارة والفحص الطبي قبل الزواج وانعكاسها على صحة المجتمع الفلسطيني

تحسين يقين

تعد هذه الدراسة النوعية التي بادرت اليها «مفتاح» من أوائل الدراسات المشابهة في العالم العربي، والتي اهتمت بآراء وتوجهات صناع القرار تجاه قضية مهمة كالفحص الطبي قبل الزواج، حيث بينت المراجعات الأدبية بشكل جلي قصوراً كبيراً على الصعيد البحثي المعني بصناع القرار ودورهم في سن وتطبيق قوانين الصحة العامة والفحص الطبي خاصة.

وحسب ملخص الدراسة فقد استهدفت الدراسة استكشاف آراء وتوجهات صناع القرار الفلسطيني إزاء قانون الاستشارة والفحص الطبي قبل الزواج، من أجل المساهمة في مراقبة ودعم القضايا المتعلقة بالسياسات الوقائية من الأمراض الوراثية والمعدية على المستوى السياسي والتشريعي والقضائي الفلسطيني على الأمد الطويل، وعلى مستوى المؤسسات الصحية والتعليمية والثقافية والداعمة على الأمد القصير.

لقد أظهرت النتائج من الناحية المعرفية بالمواضيع المتعلقة بالفحص الطبي قبل الزواج، ان نسبة عالية (٧٦٪) من صناع القرار لديهم معرفة بانتشار الأمراض الوراثية في فلسطين، ولكن نسبة معرفتهم بانتشار الأمراض المعدية كان منخفضا (٢٨٪) ومع ذلك أدرك معظمهم أهمية العمل على التقليل والوقاية من انتشار الأمراض الوراثية، أو الأمراض الجنسية المعدية، عن طريق نشر الوعي عن الاستشارة والفحص الطبي قبل الزواج.

بالنسبة للقانون المطروح فلقد وافقت الغالبية على الصيغة المطروحة للقانون، وعلى ضرورة العمل على تفعيله وربط الزواج بشهادة طبية تثبت على الأقل ان أحد المتقدمين لائق طبيا، وان لا تكون هذه الفحوصات اختيارية، خصوصا الفحوصات الوراثية المنتشرة.

فيما انقسم جمهور الدراسة عند السؤال عن القرار بالزواج بعد إجراء الفحص بين من ترك القرار للمتقدمين للزواج وبين من فضل وضعه بيد عاقد القران، ونستطيع تعليل هذه النتيجة غير المتوقعة بسبب تضارب الرأي عند صانع القرار كصانع قرار ومواطن يؤمن بحق الفرد بالاختيار، بعض الاحيان ولاعتقاده في أحيان أخرى بتضارب القانون مع بعض المسموح به دينيا، أو ربما الخوف من تبعات قرار قد يثبت عدم نجاحه التام مستقبلاً.

وعند الحديث عن جاهزية النظام الصحي الفلسطيني لتطبيق القانون المقرّ، فلقد رأى نصف العينة بأن النظام غير جاهز ماديا للتطبيق، وأن الكوادر البشرية المتخصصة والمختبرات المجهزة بالمعدات اللازمة لإجراء هذا النوع من الفحوص غير متوفرة، مما يتطلب وجود الدعم المادي الكافي لإنشاء البنية التحتية لإجرائها خصوصا ان نسبة عالية من المستجيبين لديهم دراية كافية بأهمية ونوع الفحوص المتوقع طرحها عند التطبيق، وإن دل ذلك على شيء، فإنه يدل على أن صناع القرار على دراية واضحة بالمعيقات التي قد تتسبب في عدم التطبيق الصحيح للقانون.

وعند عرض النتائج ضمن مجموعة بؤرية من صناع القرار والممثلة من جميع القطاعات، فقد خرجت المجموعة بالعديد من التوصيات: أهمها التوعية المجتمعية بالقانون وحيثياته، والتنسيق بين الوزارات والجهات المعنية بتطبيق القانون، وتشكيل هيئة وطنية تشكل من قبل وزارة الصحة تعمل على إقرار الفحوصات وإصدار اللوائح والاستراتيجيات المناسبة والسليمة للتطبيق، آخذة بعين الاعتبار التبعات الاجتماعية والنفسية والمالية.

وقد لوحظ عند تحليل الاستبيانات أن ثلثي العينة هم ذكور، وأغلبهم متزوجون، يحمل ٧٠٪ من العينة شهادات عليا، و٥٠٪ تخصصوا في أحد المجالات الصحية أو الطبية. مما يعطي مؤشراً على أن معظم القرارات لا تراعي بعد النوع الاجتماعي.

الاستنتاجات والتوصيات

أظهرت نتائج الدراسة ان صناع القرار الفلسطينيين لديهم دور رئيس في التوجيه والمساهمة في دعم قانون الفحص الطبي قبل الزواج، لعلاقته المباشرة مع الصحة والدين وحقوق الانسان، عوضا عن دورهم في مواقعهم الاستراتيجية كصناع قرار، مع العلم إن نسبة التجاوب من أعضاء المجلس التشريعي لتعبئة البيانات كانت منخفضة مما قد يعكس انشغال أعضاء المجلس بأمور تتعدى الاهتمام بالوضع الصحي الفلسطيني، مع العلم ان قانون الصحة العامة بأجزائه قد تم تمريره بثلاث قراءات في المجلس التشريعي قبل إقراره النهائي. مع العلم ان صحة المجتمع الفلسطيني هي الأساس، ولا بد أن تقع في صميم مساحة العمل لصناع القرار.

كما أشارت البيانات بأهمية تطبيق القانون بطريقة قانونية إلزامية للصيغة المطروحة لقانون الفحص الطبي قبل عقد الزواج للمادة رقم (٥) من الفصل الثاني لمشروع قانون الصحة العامة، مع أن صناع القرار اختلفوا حول إجبارية الاختبار الوراثي وربط إتمام عقد الزواج والفحص الطبي، مما يعكس تخوف صناع القرار بأخذ قرار حازم تجاه هذا الموضوع، وقد يكون التضارب الملحوظ نتيجة لازدواجية الدور الذي يقوم به صانع القرار كصانع قرار ومواطن يؤمن

بتفضيل الفرد الاختيار على القانون، لاعتقاده في بعض الأحيان بتضارب القانون مع بعض المسموح به دينيا، أو ربما الخوف من تبعات قرار قد يثبت عدم نجاحه التام مستقبلا. وقد أوضحت النتائج أن غالبية صناع القرار شككوا بجاهزية النظام الصحي والإداري الفلسطيني لتطبيق القانون، وذلك لعدم توفر الكوادر البشرية المتخصصة والمختبرات المجهزة بأحدث المعدات الخاصة بإجراء هذا النوع من الفحوص مما يتطلب وجود الدعم المادي الكافي لإنشاء البنية التحتية لإجرائها. كما أظهرت نتائج المرحلتين الأولى والثانية ضرورة العمل على توعية المواطنين لأهمية الاستشارة والفحص الطبي قبل الزواج، بالاستعانة باللجنة الوطنية للتثقيف والتعزيز الصحي وبدائرة الوعظ والإرشاد في وزارة الأوقاف.

وقد ركزت نتائج المجموعة البؤرية في المرحلة الثانية من الدراسة على تشكيل لجنة وطنية مصغرة تتمثل من: دوائر التثقيف الصحي، ودوائر صحة المرأة، ولجنة الأمراض السارية والمجتمع المدني والوزارات ذات العلاقة، على أن تكون مهمتها تحديد الاستراتيجيات المناسبة لتطبيق القانون، سواء على المستوى القانوني والإداري والتنفيذي، او على مستوى الحشد المجتمعي اللازم لتفعيل القانون وتنفيذه بالطريقة السليمة.

وكتوصية أساسية من نتائج الدراسة ومن وجهة نظر الباحث، فإن هناك ضرورة لتكوين لجان متخصصة وذات خبرة في المجالات والسياسات الصحية والشرعية والقانونية والاجتماعية والنفسية والمالية، لوضع لوائح لتطبيق قانون الفحص الطبي قبل الزواج قبل البدء بتفعيل القانون، آخذين بعين الاعتبار جاهزية المجتمع المحلي للتطبيق.

وأخيراً، طالبت بوجوب إجراء بحث مكمل لهذه الدراسة لتقييم إلمام وتوجهات المجتمع المحلي الفلسطيني تجاه القانون المقرّ لبناء برنامج توعوي مناسب لماهية القانون وأهميته قبل البدء بتنفيذه.

عشراوي: تفادي مشاكل المستقبل

الأمين العام للمبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية «مفتاح» د. حنان عشراوي رأت أن دراسة اتجاهات صناع القرار بما يتعلق بالفحص الطبي قبل الزواج تأتي انسجاما مع دور «مفتاح» في دعم القيادتين السياسية والتشريعية للقيام بدورهما فيما يتعلق بدعم القضايا المتعلقة بالسياسات الوقائية من الأمراض الوراثية والمعدية. والتي سيكون لها دور أساسي وفعال، وخصوصا في الطرح والتأثير، لتطبيق حيثيات قانون الاستشارة والفحص الطبي قبل الزواج بطريقة سلسة وصحيحة، حيث تمثل هذه الدراسة الركيزة الأساسية للعديد من الدراسات اللاحقة والمهتمة بآلية تطبيق القانون بعد سنة، كما ستكون نقطة انطلاقة للعديد من الأنشطة، والتي سيتم تنفيذها لاحقا ضمن إطار المشروع.

الأهمية

عن ذلك تقول د. نهى الشريف معدة الدراسة أن الاستشارة والفحص الطبي قبل الزواج قضية شائكة لها أبعاد متباينة، فقد تكون سببا في نجاح العلاقة الزوجية وتقويتها، ويمكن أن تؤدي دورا مؤثرا في اتخاذ القرار الصعب بالانفصال والرحيل، وما يتبعه بعد ذلك من ردود فعل بين الطرفين بشكل شخصي ينعكس على عائلاتهم. ومهما كانت تلك النتائج، إلا أن الحقيقة التي لا تقبل الجدال هي أن الاستشارة والفحص الطبي قبل الزواج أصبح أمراً مهما لتفادي حدوث مشاكل مستقبلية تؤثر بشدة على العلاقة الزوجية.

وأضافت ان الاستشارة والفحص الطبي قبل الزواج تظل محدودة الانتشار، وقد يعزف عن القيام به بعض الناس لعدة أسباب، نذكر منها: الخشية من معرفة حقيقة حمل الوالدين لمرض وراثي معين، والخشية من تسرب هذه المعلومات أو هذه الحقائق الى الناس. وقد جاءت الدراسة في ٨٠ صفحة من القطع المتوسط، راعت فيها مُعدتها د. نهى الشريف ذكر خلفية الدراسة ومشكلتها وذكر بعض القوانين العربية والاجنبية في القانون قيد البحث، والتعريج على الآراء الفقهية من الاستشارة الطبية قبل الزواج، وقد احتوت الدراسة على جداول ورسوم توضيحية وملاحق قانونية، وملخص باللغة الانكليزية. وقد تمت بمتابعة وإشراف سناء العاصي منسقة مشروع التوعية والتأثير في قضايا الصحة الإنجابية، فيما قامت بالتغذية الراجعة كل من د. عائشة الرفاعي، وهديل قزاز.

مرح ما زالت طفلة

ثائر فقوسة

في مساء شتاء بارد امتزج صوت العاصفة والمطر بصوت الطبول والغناء بإحدى القرى في جنوب فلسطين، ومن بين هذا المشهد تسللت دمعة من عين مرح بنت الرابعة عشرة التي كانت تجلس على مقعد زين بعناية، ترتدي فستان زفاف أبيض، يتشبث بيدها زوج المستقبل «أبو أحمد» ابن الاربعين عاماً صاحب سيارة «المرسيدس» السوداء التي كانت كافية لموافقة اهل مرح لزواج ابنتهم الوحيدة من هذ العريس «اللقطة».

مرح ما زالت طفلة تلعب في أزقة القرية وساحة البيت، تغني مع العصافير، تركض باستحياء خلف مجموعة من القطط كانت تجلس خلف نافذتها، تحمر وجنتها اذا خاطبها غريب، تتحرك بلطف كالفراشة.

هذه الفراشة لم تعلم ما يخفيه لها القدر الذي نقشه والدها «ابو خليل» على جدارية سوداء دون إذن ومعرفة بأن مرح ما زالت ترسم أحلامها بالألوان المائية ويخلو كراسها من الحياة الزوجية وتحمل المسؤولية. هم والدها المسكين ان تعيش ابنته مرح في سعادة المال ولو مع رجل اكبر منها، ابو خليل لم يترك لعقله التمرد على تقاليد وعادات تلك القرية الفقيرة التي علق على مدخلها شعار (معك قرش بتسوا .....) ظناً منه ان العريس «أبا أحمد» فرصة لا تعوض والافضل ان تكون مرح من نصيبه، فهناك عشرات الآباء يتمنون لو انحرفت سيارة «المرسيدس» الى منزلهم.

وبهذه العقلية نسجت خيوط زواج مرح على العريس اللقطة المتزوج للمرة الثانية وأب لسبعة أبناء، اصغرهم في عمر مرح، وبعيداً عن وصف العرس الفاحش في النفقات واقتراب نهاية حفلة ليلة الزفاف طلب ابو خليل من ابنته مرح ان تذهب مع زوجها، عندها كانت لحظة الحقيقة التي ايقظت تلك الفتاة من حلم لعبة العريس والعروس التي اعتادت على لعبها مع بنات الجيران.

مرح تصمت قليلاً، تبدأ دموعها بالسقوط كحبات البرد، تنظر الى والدتها لعلها تخبرها ان كل ما يجري حلم، تتحرك ببطء نحوها، تضمها، تهمس بضع كلمات مليئة بالخوف، الأم تبتسم، تقبل ابنتها، وتقول: انا تزوجت وعمري ١٣ سنة، وما في شيء بخوف، في هذه اللحظة شعرت مرح بأن والدتها غريبة لم ترها من قبل، توجهت الى شقيقها خليل كونه الأخ الأكبر لعله يحميها او ينقذها من هذا المصير المجهول، يبدأ خليل بالبكاء بصمت، لأنه لا يملك القرار، يصرخ والده، بصوت عال: العريس «ابو احمد» ينتظر، يأتي بعد ذلك يمسك بيد مرح، يضغط عليها بقوة ويقودها جسداً بلا روح، الى السيارة تصعد مرح الى المرسيدس بجانب العريس الذي بدأت شواربه بالحركة والرقص كأسد استفزته فريسته، انطلق بسرعة البرق كمحارب استولى على غنيمة او جارية، بعد ذلك انطفأت الأنوار التي كانت تزين بيت ابو خليل وما زال صوت مرح يتردد خلف الجدران يستغيث دون جدوى.

بعد ساعتين طرق باب منزل أبو خليل، ينهض خليل ليفتح الباب، يتجمد في مكانه، يصرخ بصوت منخفض: ابو احمد؟! ماذا حدث، تجمعت اسرة مرح يرتجفون أمام الباب وبدا الجميع بالسؤال عن سبب قدوم العريس، فأخبرهم دون اكتراث بأن مرح اصيبت بنزيف حاد وأتى ليأخذ والدتها لتساعد في نقلها الى الطبيب، وعند وصولها الى المشفى كانت فقدت نسبة كبيرة من دمها وضعت في غرفة العناية المركزة، وأصبحت الفراشة دون حراك، وفصلها عن عالمها الصغير باب في أعلاه طاقة من زجاج، وخلف الباب افترشت أسرة مرح ممر المشفى في انتظار خروج ابنتهم الوحيدة، العريس ابو احمد لم يأت بعد اليوم الاول، وبعد عشرة ايام طلب الطبيب من ابو خليل عرض مرح على طبيب نفسي لأنها تعاني من بعض المشاكل النفسية، تكلم نفسها باستمرار، ترتجف اذا شاهدت رجلاً، تصرخ اذا اقتربت منها الممرضة لخلع ملابسها لإعطائها حقنة.

وبهذا المشهد القاتم تمزق جناحا الفراشة واستقر بها الحال في مشفى نفسي وفقدت العائلة طفلتها الوحيدة، الفرح والمرح، وطليت جدران منزلهم بالحزن والندم، والعريس ابو احمد ما زال يردد: الله بعوض العشرة آلاف دينار، الله يعوض الخسارة.

الصغيرة أثمار ناطور

رحلة غناء من مخيم جنين إلى قلب أوروبا

عبد الباسط خلف

راحت الطفلة أثمار ناطور تقارن شوارع هانوفر وكاربسروه وميونخ وكول وشتوتغرد، وهي أسماء مدن ألمانية والعاصمة الفرنسية باريس، بأزقة مخيمها في الشطر الغربي لمدينة جنين. وفي كل مرة كانت تحصل على العديد من المفارقات، ولم يكن صعباً على المغنية الصغيرة التي لم تكمل بعد سنتها العاشرة، الوصول الى نتائج كثيرة تتجاوز «أوراق» عمرها الصغيرة.

أخذت خطواتها تقترب من المنصة الرئيسة في العاصمة الفرنسية في اليوم ذاته الذي صادف ذكرى اجتياح مخيمها في الثالث من نيسان، لتنقل بغنائها لأبناء الجالية الفلسطينية في ألمانيا وجارتها فرنسا، ألحاناً تفتح لهم باب الحنين لوطنهم على مصراعيه، وتعرّف بحال وطنها.

يتحدث والدها تلقينا دعوة من أعضاء الجالية الفلسطينية في ألمانيا، وجاءت مشاركتنا في مهرجان دول حوض البحر المتوسط، وحلت فرقتنا الى جانب فرقة تركيا، في سياق الدولتين اللتين ستتحدثان بالغناء عن تراثهما.

خوف

تقول: «كان الخوف يطاردني، وأنا أقترب من المنصة، فهذه المرة الأولى التي أغني فيها أمام «ناس كثار»، لكنني رحت أنظر الى والدي الذي شجعني».

تفوقت أثمار على الخوف الذي رافقها، وبدأصوتها الصغير يشدو بأغان من طراز «أنا الطفل الفلسطيني» و«يا أمي وينو بيي»، الى جانب عدد كبير من المواويل والمقطوعات التراثية. جاءت ناطور من مخيم جنين الى القارة الأوروبية للغناء، لكنها أيضاً صارت تتذكر الأيام العصيبة التي عاشتها في مخيمها، حينما شرع جيش الاحتلال بعملية تدمير واسعة النطاق، أوقعت عشرات الشهداء ومئات الجرحى، وترك مئات الأسر بلا مأوى.

تقول أثمار وعلامات الفرح تحتل مساحات وجهها الصغير، مع تعديل بلاغي طفيف «هنا في باريس ومدن أوروبا لم أسمع أصوات الرصاص والطائرات والدبابات، ورحت أغني في القطار الذي أوصلني من ميونخ لباريس».

تتابع: «عندما صعدت الى الطائرة، لأول مرة خفت كثيراً، وتذكرت الطائرات الاسرائيلية التي كانت تحلق فوق مخيمنا، وتطلق على بيوتنا الرصاص».

تأقلمت أثمار وطائرة «اللوفتهانزا»، وصارت تتدرب على الأغاني التي تحفظها عن ظهر قلب وصارت ترددها في «بروفة» تسبق الحفلات التي ستحييها.

في الحفل الأول في مدينة ميونخ، شاهدت أثمار أطفالا من جيلها، قدموا مع ذويهم من أعضاء الجاليات الفلسطينية والجزائرية والتونسية والمغربية وغيرها، وأثناء الحفل راحت تنظر في عيون الجمهور وتركز على نظرائها.

تقول: «تعرفت على أصدقاء في سني، ولكنني «زعلت» لأنني لم استطع فهم عدد منهم كونهم لا يعرفون العربية». وهذا ما دفعها للتفكير في تعلم الفرنسية والألمانية.

تطوعت عائلة تعيش في فرنسا ذات زوج فلسطيني وزوجة فرنسية وأبناء منقسمين بين العربية وسجاياها والفرنسية «الفرانكوفونية» ومشتقاتها، لتعليم أثمار فن العزف على البيانو، وتشجيعها على تطوير مهاراتها في الغناء.

«رحلة صعبة»

لم تكن رحلة أثمار من مخيمها الى القارة الأوروبية سهلة، ففي بداية الطريق الموصول من معبر أريحا باتجاه الأراضي الأردنية، أعاق الاحتلال عبور أثمار ووالدها وأعضاء فرقة «مرج ابن عامر» كثيراً. يقول والدها: «وصلنا المعبر في أريحا باتجاه الأراضي الاردنية، أعاق الاحتلال عبور أثمار ووالدها وأعضاء فرقة «مرج ابن عامر» كثيراً. يقول والدها: «وصلنا المعبر في أريحا في ساعات الصباح الباكر، وأمضينا طيلة النهار في إجراءات التفتيش والتحقيق

والاستجواب، ولم تنج النوتة الموسيقية من التفتيش».

عند السادسة مساء، قلت للضباط الاسرائيليين: «إما أن تسمحوا لنا بالعبور كي تغني ابنتي للطفولة، وإما سأعيدها الى مخيمها لتغني ما يحلو لها». «أفرج» جنود المعبر عن أثمار ووالدها وأعضاء الفرقة، لكن الجانب الآخر من المعبر الأردني كان قد أنهى عمله، وتصادف مرور وزير الثقافة الفلسطيني يحيى يخلف الذي ساعدهم في العبور. في هذه اللحظات الطويلة، كان التعب قد أتى على أثمار، ونال من جسدها المنهك، وأجبرت على النوم في قاعة المغادرين من شدة التعب. تقول «تعبت كثيراً، وشاهدت الجنود وهم يفتشون كل شيء».

تفاصيل

شعرت أثمار بالغربة، وصارت تفتش عن صديقاتها، وتقارن كل التفاصيل الصغيرة في هذا المكان الطارئ على حياتها. قبل أن تكمل الحديث، نجبر على التوقف لأن صوت «موسيقى» بائع اسطوانات الغاز غير المنظمة، وصرخات الأطفال و«زمامير» السيارات لا تعترف بالهدنة. تروي أثمار «كان المسرح كبيراً، والجمهور هادئاً وشعرت بأنه ينتظر سماع صوتي».

أمضت أثمار في أوروبا ٣٢ يوماً، وعندما عادت الى أرض الوطن كان حشد كبير من الأهل والأقارب وصديقاتها الصغيرات في استقبالها. بعدها أسرعت الى المدينة، وحظيت باستقبال كبير. سعدت بعودة المغنية الصغيرة مديرة المدرسة وسيلة حنتاوي، ومعلماتها وصديقاتها، وتذكرن الحفلات المقلصة التي كانت أثمار تحييها في المدرسة، وفي دروس الموسيقى والنشاط والتربية المهنية.

كانت تشكيلة الفريق في الجولة الأوروبية، الى جانب أثمار شبابية، فعلى «جبهة» اليرغول كان عمها علاء، ووراء آلة للعزف تطوع حمودة جبارين الفلسطيني المقيم في ألمانيا، وتطوع الشاب التونسي أنيس الطويل للعزف أيضا، فيما صادقت أنامل نايف عبادي العود، وانحاز قيس أبو الندى للأورغ، وعهدت إدارة الفرقة لوالد أثمار الذي قال: "كان طريقنا صعباً، فحتى تكاليف الرحلة عجزنا عن تأمينها، ما دفعني للاستدانة ".

في دفتر يوميات أثمار تدون قليلاً عن لقائها زينة شهيد، شقيقة ممثلة فلسطين في باريس ليلى شهيد تقول: «حضرت السيدة زينة الى المسرح، وأهتمت كثيراً بكلماتي، وأحضرت لي هدية، وشجعتني على الاستمرار في الغناء».

تتابع: «شاهدت سيدة جزائرية تبكي، وعندما نزلت عن المسرح قبلتني وضمتني إليها، وكذلك فعلت سيدة فلسطينية من غزة». يقول والدها: «استخدمت الجالية ما نشرته «صوت النساء» عن ابنتي في الترويج لحفلتها، وفي التعريف بها، وأبدى كثيراً من أعضائها إعجابهم باهتمام الصحيفة بالمغنية الصغيرة».

تسابق صحافيون عرب وألمان للكتابة عن المغنية الصغيرة، وعنونت صحيفة «دنيا الوطن» الصادرة بالعربية عن مشوار أثمار من مخيمها الى ميونخ، فيما أشارت صحيفة كارلسوره الى الفرقة التي تقودها طفلة. بعد العودة من الرحلة الفنية، سارعت مؤسسة فرنسية تعنى بدعم المشاريع الصغيرة، لتقديم أدوات موسيقية حديثة لأثمار، وبفترة سداد طويلة الأجل، ومن ريع الحفلات التي تحييها.

سيرة صغيرة

ترعرعت أثمار في المخيم الذي دفعها للإسراف، منذ أن بدأت معالم إدراكها بالتشكل، في الاستماع الى الاغاني الوطنية التي راحت تأسر قلبها الصغير، وأخذت تحاول تقليد ما تسمعه، وشجعها شغف والدها بالغناء والتأليف للمحاولة ثانية.

في مكان لا زالت تستوطنه آثار زلزال نيسان الدم الذي حمل للمخيم رائحة الموت والتدمير في العام ٢٠٠٢، تعيش اليوم الطفلة أثمار، بإرادتها العالية المستوى لتشدو بكلمات تضع إصبعها على الجرح كما قول والدتها.

غمر الفرح أثمار، التي لم تكمل يومها الصف الثالث الأساسي، حينما أخبرها والدها بأنه سيسجل أغانيها على كاسيت وقرصين مدمجين، واعتقدت أنه يمازحها، انتقلت لأمها وطلبت فحص جدية والدها، وكم عادت اليها السعادة في اللحظة التي علمت فيها أنها ستسافر الى اوروبا للغناء.

سبق الشريط الذي حمل اسم «انا الطفل الفلسطيني» بست أغان: ما بدي منكم عيديه، يا قدس العرائس، لحركتنا الأسيرة، نموت وتحيا فلَسطين، يا أمي وينو بيّ، مشاركات لأثمار في حفلات مدرسية وأخرى في رام الله والجامعة العربية الأميركية وفي طولكرم ايضاً، وفي كل مرة كان شعورها بالسعادة يملأ قلبها الصغير.

واليوم صدر لها قرصاً مدمجاً يحوي على الأغاني التي شدت بها الصغيرة في القارة البادرة. يقول والدها عن سر اهتمامه بابنته «لمست ذكاء أثمار في المدرسة، واستمعت لإنشادها وتعرفت لحبها بالشعر، وعندما كانت تقترب مني وأنا أعزف على العود كانت ترقص وتغني وهي لم تتجاوز الرابعة، وشعرت أنها موهوبة وشجعني أخوتي والجيران وصاحب ستوديو تسجيل للاهتمام بها».

أثمار، الابنة الأولى لعائلة متوسطة الحال، ووالد يعمل في حقل بعيد جداً عن الفن إذ يعمل في الباطون ومشتقاته، لها اختان نوّار (سبع سنوات)، مها (خمس سنوات)، ونبيل (عامان ونصف)، تأثرت كثيراً بأغنية (يا أمي وينو بيّ)، لأنها تنقل حورا بين أم وابنتها، تسأل الثانية والدتها عن الأب الغائب، فتجيبها بأنه سيعود مع القدس.

تعشق اللغة العربية والشعر، مثلما تعبر عن أحلامها بالرسم، إذ عكفت على صناعة مشاهد لرجال يعزفون على أدوات موسيقية الى جانب مشاهد من الاجتياح الكبير، وكأنها توصلت في سن مبكرة لعلاقة الفن بالإطاحة بالألم.

شيد لها خالها منير سليمان موقعاً إلكترونياً على شبكة الإنترنت للمغنية الصغيرة، لخص أعمالها بالعربية والألمانية والإنكليزية، وأطلق مساحة لأحلام الأطفال، مثلما نقل للعالم تحديهم للموت الأعمى الذي لا يوفرهم أو يرحمهم، لكن الشركة التي منحتهم الاسم التجاري، لم تف بالتزاماتها، وسرعان ما أوقفته.

الى الأخت «ديما السمان» تأكيداً على «اللي يبخشش فلوسه، كل الناس عروسه»

ليليان

تكلمت أختي العزيزة حول موضوع انتشر في هذه الآونة، ربما لعدة أسباب الاقتصادية منها والاجتماعية، وغيرها الكثير. وهو أهمية النقود والتي يعتبرها البعض المصدر الرئيسي للسعادة، ويمكن للأب ان يبيع ابنته لعريس يعتقد ان بنقوده سيجعلها قمة في السعادة، بصرف النظر عن فارق السن الذي يجمعهما.

وأردت ان أؤكد كلامك بطرح قصة مشابهة نوعا ما لقصتك والتي ما زلنا في جدل بشأنها وننتظر الحل؟!

فتاة في العشرينيات تمتلك من جمال الخلق ما تحسد عليه، وحلاوة روح «ما شاء الله» قمة في الروعة والأدب حاصلة على شهادة جامعية من إحدى الجامعات الفلسطينية، تعيش في أسرة ميسورة الحال وترى من الدلال ما تتمناه أية فتاة.

طموحة، ولكن قصتها هذه جعلت منها إنسانة مكتئبة، حزينة على غير طبيعتها، ولا تعرف ماذا تفعل المسكينة!!

تقدم لخطبتها قريب لها في الخمسينيات من عمره، يتمتع بصفات الترف والغنى، وتبين من خلال خطبته لها بأنه يحبها منذ نعومة أظافرها عندما كان يتردد على بيت أهلها في المناسبات السعيدة وهي لا تزال طفلة وينتظر حتى تنضج لتتحمل أعباء الزوجية وحتى الآن لم يتزوج ويصر على ان يرتبط بها ولا يهمه فرق السن ويدعي ان «شباب اليوم مهما وصلوا من تعليم فلن يستطيع الشاب منهم ان يعيشها بنعيم كما ستكون معه» وكأن السعادة تأتي من كثرة النقود!!

يعتبر ان بنقوده سيشتري أجمل الفتيات كما يشتري تحفة ثمينة من المحلات ويصر «شو بدها أحسن من هيك»..!! وطبيعي ان يقابل طلبه بالرفض من الفتاة نفسها ومن أهلها أيضاً والفرق هنا بين القصتين ان قصتك تم فيها البيع والشراء ولكن هنا لا ولن يتم!!

لكن الفتاة تعيش في حالة إرباك وتوتر يلازمها ليل نهار تخشى المسكينة من أن يكون قد تعلق بها فعلاً ولا يستطيع الاستغناء عنها.

إنها تؤمن بالقسمة والنصيب ولكن عندما تتكرر هذه الحادثة أكثر من مرة تجدها تتشكك وتقول لماذا؟ وأحياناً يكون الشاب على درجة ومواصفات غير قابلة للنقاش تتمناه أي فتاة، فهي الآن لا تدري ماذا تفعل وعندما تسمع مثل هذه المواضيع تنفعل وكأن عفريتاً يركبها لا تطيق سماعها، لا تريد أن يراها أي عريس يتقدم لخطبتها، وأراها سوف تقلع عن فكرة الزواج للأبد!! ومن المسؤول؟

أصبحت خائفة من المستقبل، انطفأت شمعتها بعدما كانت شعلة ملتهبة من النشاط. اختفت بسمتها بعدما كانت دائمة الابتسام، الوردة المتفتحة التي أراها تذبل يوماً بعد يوم. هل الحل ان ترضى بالأمر الواقع وتقبل به كعريس وشريك لحياتها وأب لأولادها؟؟

هل تقبل به لكي لا تصل الى مرحلة العنوسة وما أخطرها في مجتمع كهذا؟

هل تستسلم الفتاة المسكينة وتقبل بعريس كهذا وتذهب معه لعش الزوجية المزركش بالحب الفاتر! هل تعيش مع رجل في سن والدها؟ هل تتخلى عن أحلامها التي تراودها طوال سنين عمرها في كيف ستختار شريك حياتها.

هل تقبل لتتخلص من العبارات اللاذعة التي قد تسمعها من مجتمعها الذي لا يرحم؟ هل تعيش معه كملكان تلبي رغباته دون أي إحساس أو أي مشاعر تجاهه؟ هل أصبحت الإنسانية رخيصة الى هذه الدرجة؟ ان الفتاة منا إذا فقدت الحنان والحب من الرجل الذي ستكمل معه مسيرة حياتها فعند من ستجده؟ هل تجده في المظاهر الكاذبة؟ لا والله، بل تعيش معززة مكرمة في بيت أهلها أهون عليها من أن تعيش بقية عمرها ضعيفة، غير سعيدة. هكذا عزيزتي، الرجال في هذا الزمان ان امتلكوا القدر الكافي من الأموال والقصور يعتبرون ان أي فتاة بمجرد الإشارة لها ستكون أمراً وطاعة لهم ولا يبالون لصغر السن، المهم ما يريده هو فقط، حب للذات لا يوصف، أنانية بشعة.

قابلتها المسكينة قبل أيام قلائل، وما رأيته في عينيها من الحزن والهم يكفي للتعبير عن حالة الإحباط التي تعيش بها، وجدتها حائرة، مكسورة الخاطر تقول بنبرة حزينة جداً: هل وصلت فتاة في سن العشرين لمثل هذه الدرجة من الإحباط واليأس بالطبع لا، ولكن لكل منا طاقة تحمل وما أن تفرغ هذه الطاقة من الشحنات لا نجد أمامنا سوى التأقلم مع هذا الواقع المرير وتحمل فرض سيطرته علينا، ولكن على حساب من؟!

وهكذا يبقى السؤال؟ الى متى ستظل الفتاة فريسة لذوي النقود؟ متى ستكون لها استقلاليتها؟ متى يمكن ان تقول رأيها بصراحة وبدون خوف؟ وكيف يمكن ان تتغير نظرة الرجال للفتاة؟! هل من المنطق ان من تمثل نصف المجتمع تصور بهذا الشكل؟

الفتاة والتي هي الأم والأخت والزوجة الصالحة ومربية الأجيال.. هل تعامل بمثل هذه الطريقة؟!

ونظل نتساءل؟! ماذا يريد المجتمع من الفتاة؟ وكيف يصورها؟ وعلى أي أساس هي موجودة؟هل هي لوحة فنية رائعة؟ أم هي أداة مسلية للوصول لغاية ما؟؟

وإلى أن نجد للسؤال جواباً! ما لنا إلا أن ندعو للفتاة بالصبر..

وبالتأكيد لكل سؤال جواب.

نزوة أم أزمة

بقلم : سما

لأن شر البلية ما يضحك، فإن في هذه القصة ما أضحكني ثم جعلني أشعر بالرغبة العارمة في البكاء، شعرت انني أريد أن أبكي، رثاءً للنساء، رثاءً لنفسي، لأنني امرأة اعطي حتى انتحر، وأخاف حتى اقترب من الانتحار خوفاً، أخاف من غدر رجل امنحه زهرة عمري وصحتي وطاقتي.

هي تجاوزت الأربعين بعدة سنوات، لقد وصلت الى تلك المرحلة التي تزينها الحكمة وتصقلها الخبرة والتجربة، ويزداد العطاء دفاقاً مصحوباً بفيضان من الحنان والحب.

كانت تتناول كوب الشاي اليومي صباح ذلك اليوم مع جارتها الأثيرة، التي عاجلتها مع أول رشفة شاي بسؤال مباغت: هل أنت موافقة على زواج زوجك كما قال لزوجي أمس؟.

بوغتت وظنت انها لم تسمع جيداً ولكن جارتها أعادت الكرة ثانية، وبهتت، ألجمت الصدمة لسانها وعندما تمالكت نفسها صرخت من الدهشة والاستنكار.

هزتها الصدمة وزلزلتها المفاجأة، ولم تصدق، لم تصدق ان سنوات العمر والحب والعشرة والأبناء والاخلاص والمساندة كلها لا تساوي شيئاً عند الرجل الذي أحبته وظنت أنه يحبها طوال هذا العمر، اعتبرت أن ما ينوي فعله خيانة لا بد لها من الانتقام، هل وصل به الأمر ان يأتي لها بضرة تشاركها كل شيء وتسلب منها ذكرياتها معه وذكرياته معها وتسطو على بعض حق أولادها في أبيهم وربما ينجب أولاداً منها يشاركون أولادها ما تعبت وهي بجوار زوجها في السنوات الأولى من زواجهما في تحقيقه من ثروة، انه المستحيل بعينه.

عادت بها الذاكرة ما يقرب من ربع قرن من الزمان، كان زوجها مهندساً مبتدئاً حين تقدم للزواج منها، كان ابن عمتها يكبرها بسنوات عشر، تركت الدراسة والمدرسة لكي تسلمه قلبها وحياتها وتبدأ معه مشوار الحياة الزوجية التي حرصت على الا يكدر صفوها أي شيء، لم تترك الفرصة لكي تدخل بيتها لو مشكلة صغيرة من تلك المشاكل التي تدخل بيوت الزوجية، لا تريد أي شيء يعيق تقدم ونجاح زوجها، وانها تستبق الأيام لكي تصل به الى أحلامه، وخلال هذه السنوات أنجبت له البنين والبنات فكان الأولاد جبهتها الثانية التي تحارب فيها، فقد احتلت صفحة وجهها نظارة سميكة تعينها على القراءة والنظر الى الأشياء بعد أن ذهبت دروس وكتب أولادها ببعض نظرها، حتى أصبح أكبر أولادها طبيباً والآخر محامياً والثالثة لا تزال طالبة جامعية، المهم أنها لم تشعر خلال هذه السنوات بأي تغيير على زوجها، حقاً هو دائماً مشغول في مشاريعه التجارية ولكن علاقتهما تتراوح في معدلاتها الطبيعية بلا زيادة أو نقصان. كانت تنام قريرة العين مرتاحة البال فقد حققت أغلى أمانيها في الحياة، من الزوج الصالح الى الأبناء الصالحين الى الحياة المنعمة الهادئة، أما كيف سحبت المياه من تحتها؟! كيف تسرب زوجها من بين أصابعها؟ فهذا ما لم يخطر لها على بال.

انها باختصار لم تستشعر الخطر يوماً من جانب زوجها، كانت تخاف من جحود الأبناء ونكرانهم أو على الأقل الانشغال عنها بحياتهم الجديدة أما زوجها فإن ذلك لم يكن بحسبانها، أو هو ضرب من الخيال بالنسبة لها.

أما هذا الخبر فهو بالنسبة لها كارثة بكل المقاييس، شعرت أن بداخلها نمرة شرسة تريد أن تفترس هذا الزوج الغادر وتفترس كل شيء من شأنه أن يزلزل سعادة بيتها وأولادها.

قررت أن تنام تلك القطة الأليفة بداخلها، انها تريد ان تنتقم من زوجها، ان الانتقام سيكون بحجم الخيانة هكذا حدثت نفسها، وقد كان، لقد ظلت تبحث وتتحرى حتى علمت بالتفاصيل الكاملة لزواج زوجها، إنها القصة التقليدية فهو يريد تجديد شبابه مع فتاة صغيرة في عمر ابنته ولكن تفوقها جمالاً وبهاء، وعلمت الموعد المحدد لزواجه وأعدت خطتها جيداً.

ففي صباح اليوم المحدد قدمت لزوجها كوباً من الحليب المحلى بالعسل ولكن هذه المرة قد أضافت قرصاً منوماً في كوب الحليب وحين سألها زوجها عن المرارة التي يلاحظها مع حلاوة العسل غمزت له بعينها انها قد أضافت له غذاء ملكات النحل المعروف بمفعوله السحري، وشرب الزوج الكوب راضياً وسرعان ما راح في سبات عميق، فاستغلت الزوجة نومه وقامت بعمل جريء لا يصدر إلا من قلب جريء يدمى، وينزف اياماً وسنيناً حزينة، فقد أحضرت أدوات الحلاقة التي يستعملها زوجها وقامت بحلاقة ذقنه وشاربه، ثم اتجهت الى حاجبيه فأزالتهما من معالم وجهه ولم تنس رموش عينيه فانهالت عليهما بالمقص الصغير، وحين أفاق الزوج من نومه بعد ساعات طويلة ووقف أمام المرآة لكي يهندم نفسه استعداداً للموعد المحدد فوجىء بذلك الشخص أو المسخ الذي يواجهه بالمرآة، لم يكن بحاجة الى سؤال أو ذكاء ليعرف من قام بذلك، كان ذلك تصريحاً من الزوجة بأنها قد عرفت كل شيء.

كتم الزوج الأمر في نفسه وظل في البيت وفي داخله شعور متباين بين الاحساس بالذنب نحو زوجته واحساسه بالهزيمة انها قد انتصرت عليه ولم يستطع أن يحقق صفقة زواجه الجديدة وربما مشروع زواجه الجديد هو أول مشروع يخسره، وربما أيضاً أول مشروع يخفيه عن زوجته التي شاركته مشاريعه الصغيرة والكبيرة في مشوار حياتهما.

ومرت الأيام واستعاد الزوج بعض مظهره ونبت شعر حواجبه واستطالت رموش عينيه، وبدأ يخرج للعمل ولكن شيئاً ما كان في نفسه مكسوراً وشيء مثله كان في نفس زوجته مشروخاً، وحاول أمامها أن يبرر ما كان سيقدم عليه بأنه نزوة، وساق لها الكثير من المبررات ولكن الحياة بينهما لم تعد أبداً كما كانت، فهي لم تعد تشعر معه بالأمان والاطمئنان. لم تعد تنام قريرة العين، بل هناك أشواك توقظها كل ليلة تجعلها تفتش جيوب زوجها وأوراقه، وأرقام هاتفه النقال انها تشعر الآن ان كل سنوات العمر التي ضحت بها من أجله ورضيت أن تكون مجرد زوجة بلا طموح سوى طموح ونجاح زوجها، كل ذلك قد ذهب هباءً، أما محاولاته لاصلاح ما كان بينهما فقد ذهبت هباءً أيضاً.. لأن ما كان ينوي فعله في حقها هو سهم قد نفذ حتى القاع والسهم أبداً لا يعود.

نساء وأخبار

عائلة أصغر أسيرة فلسطينية تستغيث لإنقاذ حياة ابنتها

أعربت عائلة أصغر اسيرة فلسطينية، في سجون الاحتلال، عن بالغ قلقها على صحة ابنتها «هبة الله محمد إسحاق» (١٤ عاما)، التي اعتقلت بعد إصابتها بعيار ناري من قبل جندي اسرائيلي، على أحد الحواجز العسكرية، قرب الحرم الإبراهيمي في الخليل، لرفضها السماح لجنود الاحتلال بتفتيشها. وقالت وكالة «قدس برس» ان العائلة ناشدت السلطة الوطنية وكافة المؤسسات الإنسانية المحلية والعالمية والمؤسسات المعنية بشؤون الأسرى، التدخل السريع والعاجل لإنقاذ حياة ابنتها الطفلة. وأشار مركز الأسرى للإعلام استناداً لوالدة الأسيرة، قولها إن حالة ابنتها، سيئة للغاية «حيث تعاني أوضاعاً صحية صعبة، ونفسية سيئة، وآلاما حادة في الظهر، جراء إصابتها البالغة، وتستدعي حالتها عناية طبية فائقة». واتهمت والدة الأسيرة «سلطة السجون» بأنها أهملت حالة ابنتها الصحية، وبأن هناك إهمالاً صحياً بالغاً تجاه جميع الأسرى، إذ تعيش ابنتها على المسكنات، قائلة ان وضعها الصحي والنفسي يزداد سوءاً، يوما بعد يوم. وتحتجز معسكرات الاعتقال ما يزيد عن ١٢٧ أسيرة منهن ٩ أسيرات لم تتجاوز اعمارهن ١٨ عاماً.

غزة: منتخب الكرة النسائي يشرع في تدريبات جديدة

اولت الصفحات الرياضية في الصحافة الفلسطينية، اهتماماً خاصاً بتدريب منتخب الفتيات الذي أعيد تشكيله نهاية أيار الماضي.

وشارك في التدريب الذي أشرف عليه المدرب عيد العشي ١٥ لاعبة، كلهن من طالبات كلية التربية الرياضية. وقالت مشرفة الكرة النسائية، هبة النبش، في تصريحات صحافية، إن الهدف من هذه التدريبات تشكيل فريق كرة نسائي في غزة. وبدا واضحاً من خلال «وجبة» التدريبات الأولى، أن اللاعبات يحتجن الى تدريبات مكثفة، اذا ما أردن ممارسة لعبة كرة القدم.

أسيرات الحرية: «تلموند» الاسرائيلي أسوأ من «غوانتنامو» الاميركي

كشفت الاسيرات الفلسطينيات اللواتي يقبعن في سجن «تلموند»، والذي تعتقل فيه ١٢٣ أسيرة فلسطينية، عن فظائع وممارسات لا أخلاقية ومعاملة قاسية ترتكب بحقهن من السجانين والسجانات. وقالت الأسيرة ناريمان محمد هصيص لمحامية نادي الأسير حنان الخطيب: «ان سجن تلموند أصبح أسوأ من السجن الأميركي في «غوانتنامو» بسبب المعاملة السادية وغير الأخلاقية التي تتعرض لها السجينات»، مشيرة الى أن سياسة التفتيش العاري والجسدي للأسيرات أصبحت وسيلة تستخدم لإذلالهنّ والمساس بكرامتهنّ.

وفي السياق ذاته، اشتكت الأسيرة آلاء حسين للمحامية الخطيب من سياسة الإهمال الطبي الذي تتعرض له الأسيرات، وقالت: «الدواء الوحيد الذي يعطوننا إياه هو الماء، ولا يوجد أطباء أخصائيون داخل السجن». وذكرت الأسيرة حسين بعضاً من الحالات المرضية، كحالة الأسيرة لطيفة أبو ذراع التي تعاني فقرا في الدم وهبوطاً حاداً في السكر، ولينا هنداوي تعاني قرحة في المعدة وآلاما في العمود الفقري، وهالة جبر تعاني ديسكاً في الظهر، وأمل جمعة تعاني الكلى وأزمة في التنفس. واشتكت الأسيرات من سياسة التفتيش القمعي لغرفهن ليل نهار بدعوى الأمن، وفرض الغرامات المالية عليهن لأسباب تافهة.

وذكرت الأسيرة لطيفة أبو ذراع أنها عزلت في الزنازين لشهرين، وأن السجانين يقومون بالاعتداء على الأسيرات على أماكن حساسة من أجسادهن. وأكدت أبو ذراع ان العقوبات تتم حتى بدون أسباب، ومنها الحرمان من الزيارات أو عقوبات في الزنازين، وفرض غرامات مالية على كل أسيرة بقيمة ٤٠٠ شيقل تسحب من حسابها الخاص.

تشكيل هيئة وطنية للفحص الطبي قبل الزواج

رأت مؤخراً النور، الهيئة الوطنية للفحص الطبي قبل الزواج، خلال لقاء استضافته المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية (مفتاح)، في مدينة رام الله. وقالت سناء العاصي من «مفتاح» خلال اللقاء الأول أن الهيئة ثمرة جهود هدفت الى دعم القيادات والمشرعين للسياسات الوقائية من الأمراض الوراثية، لما في ذلك من أهمية في رفع مكانة الأسرة الفلسطينية وتدعيمها. وتضم الهيئة التي شكلتها وزارة الصحة، ممثلين عن مؤسسات حكومية وأهلية وأكاديمية، الى جانب ديوان قاضي القضاة ودار الفتوى.

تقرير دولي حول فجوة «الجندر»: الأردن في ذيل اللائحة

احتل الأردن المرتبة ٥٥ من بين ٥٨ دولة في تقرير للمنتدى الاقتصادي العالمي حول الفجوة في مجالات الاقتصاد والسياسة والتعليم والصحة. بين الرجال والنساء.وجاء الاردن في التريب الأخير من حيث «المشاركة الاقتصادية» و«التمكين السياسي» للمرأة مقارنة بالرجل في حين جاء في المرتبة ٣٢ من حيث «الفرص الاقتصادية»، والمرتبة ٤٣ في الفجوة بينها وبين الرجل في الصحة والتعليم.

ويقيس التقرير، الذي أعلنه المنتدى الاقتصادي العالمي بعنوان «الفجوة الجندرية» الى أي مدى كانت المرأة قادرة على تحقيق مساواة تامة مع الرجل في العديد من المجالات. وبنى التقرير مجالات القياسات على نتائج الأنماط العالمية في عدم المساواة بين الرجال والنساء الواردة في تقرير صندوق هيئة الأمم المتحدة ما يزيد عن ٩٥ بالمائة من النساء اللاتي يتعرضن لمعاملة سيئة لا يتقدمن بشكاوى أما اولئك اللاتي يبلغن عن تلك الجرائم فيقابلن باللامبالاة او يواجهن تحقيقات مهينة ومحرجة تثنيهن عن مواصلة قضاياهن.

الأديبات اليمنيات يقتحمن اتحاد الكتّاب لأول مرة

تصدرت الأديبات اليمنيات قائمة الفائزين في انتخابات اتحاد الأدباء والكتّاب اليمنيين التي أعقبت المؤتمر العام التاسع للاتحاد، بحصول الشاعرة هدى أبلان على أكثر الأصوات، فيما جاءت بعدها مباشرة في عدد الأصوات القاصة العدنية هدى العطاس. وقد انتخب ١٠٨ أعضاء في اتحاد الأدباء والكتّاب اليمنيين ٣١ عضواً للمجلس التنفيذي للاتحاد، تصدرت قائمة الفائزين فيه أبلان والعطاس، فيما تراجع حظ بعض الشخصيات الأدبية العريقة. واعتبر فوز الأديبتين هدى أبلان وهدى العطاس بأعلى الأصوات إشارة إيجابية يعوّض عدم زيادة الفائزات على أربع، وهو ذاته عدد الفائزات في المؤتمر العام السابق. وذكر العديد من الأدباء أن نتيجة هذه الانتخابات الأدبية فاجأت الكثير من المراقبين، وبالذات إثر سقوط العديد من القامات الأدبية فيها وكبار مرشحي الحزب الحاكم، وشخصيات لها وزنها الثقافي والأدبي والتاريخي، إضافة إلى شخصيات كانت تتولى مناصب قيادية في الاتحاد وفي وزارة الثقافة. وترشح في هذه الانتخابات ٧ أديبات لعضوية المجلس التنفيذي للاتحاد، واعتبرت القاصة هدى العطاس تصدرها مع زميلتها هدى أبلاه لقائمة أصوات الناخبين، مكسباً مهماً للمرأة اليمنية بشكل عام، والأديبة بشكل خاص؛ إلا أن هذا الفوز يظل دون مستوى الطموح.

«ملاك الخنفا»
شهادة تفوق من خلف القضبان

عاطف دغلس

عين بكت فرحا وأخرى ذرفت دمعها حزنا، كان ذلك المشهد صعباً على أم طارق الخنفا، فلم تتفاجأ حين وجهت لها دعوة لحضور حفل تخرج ابنتها ملاك الغائبة عن عينيها والحاضرة في سجون الاحتلال الاسرائيلي. وعندما لبت أم طارق النداء وذهبت بالفعل لحضور الاحتفال، وما هي إلا لحظات حتى كان اسم ملاك زياد الخنفا، يتكرر على الملأ، التصقت أم طارق بمقعدها وسمع صوت أنينها وهي تقول: «ملاك بالسجن.. ملاك مسجونة».

لكن أم طارق خرجت يلفها الألم تستلم شهادة ابنتها ملاك التي توجت بمرتبة «الأولى على قسم الـ سي أس في كلية تكنولوجيا بجامعة النجاح الوطنية بنابلس». وان كانت هذه الشهادة فخرية إلا أنها شهادة فخر بالنسبة لملاك أن تحصل عليها من داخل معتقلها، فقد عرفت النجاح والتميز منذ أن التحقت بالجامعة، فقد حصلت على منحة مؤسسة DEA الأميركية لتدرس ولمدة ثلاث سنوات مجانا.

ولم يكن ذلك غريبا على ملاك، فقد تفوقت في دراستها منذ الصغر، ولقب المركز الأول كان من نصيبها في كافة مراحلها الدراسية، وكان أن تخرجت به من جامعتها أيضاً، وكذلك خرجت بلقب التفوق هذا داخل معتقلها، فهي من تفوقت في أدبها وتعاملها مع الأسيرات.

كيف اعتقلت ملاك...؟

تنهدت الأم وارتعشت حين بدأت بالحديث عن ابنتها البكر التي تقبع الآن في غياهب سجون الاحتلال الاسرائيلي، ليس لذنب اقترفته وإنما لأنها جاءت في زمن يحاسب به المرء دون ارتكاب أي معصية.

كان ذلك فجر عيد الأضحى الأخير الذي مضى آخذاً معه ملاك زياد الخنفا، حين اعتقلت ملاك ووالدها من بيتها في مدينة نابلس. وتروي أم طارق قصة ابنتها ملاك وقد اغرورقت عيناها بالدموع: «كانت ملاك نحيلة الجسم دوما، ولكن بالرغم من ذلك مشهود لها تفوقها بالمدرسة، تلك علامات مفارقة بالنسبة لملاك، فمن يراها لا يتخيل أنها تقدر على سجن الاحتلال وظلمه، ومع ذلك استمرت أكثر من ٥٠ يوما في غرف التحقيق وغرف العزل الانفرادية».

تتابع "في فجر عيد الأضحى سمعنا صوت أقدام الجنود تضرب باب منزلنا القديم بقوة، شعرت منذ اللحظة الأولى أنها المقصودة، واستفاقت ملاك وأخذت تلملم نفسها وكأنها تعلم بان جنود الاحتلال يريدونها هي بالذات..." تقول أم طارق، بصوت خافت: راحت ملاك تتمتم بشفتيها لي: «ماما الجيش بدق الباب، ماما قومي افتحيلهم»، كانت هذه آخر الكلمات التي سمعتها من ملاك، فبعد ان احتجزنا الجنود في مدرسة ابن الهيثم القريبة من منزلنا، نحن في غرفة والرجال في أخرى، أكثر من تسع ساعات في البرد، اقتادوا ملاك أخيراً معهم الى حيث لا ندري». جاء أسامة ثلاث سنوات الأخ الأصغر لملاك يحمل في يده صورة لجامعة ملاك وقال: «ماما علقي الصورة على الحيط، علقيها بدي إياها بدي أشوف جامعة ملاك، الأم رفضت، فطلب من زميلي بان يعلقها له، فحين رأى صورة جامعة النجاح اخذ يصرخ بان هذه جامعة ملاك ويريدها معلقة.

قاطعت أم طارق كلام ابنها، وأخذت تروي قصة ابنتها التي لم تحرم كعك العيد فقط وإنما حرمت رؤية إخوتها في ملابس العيد التي ابتاعوها، وكذلك حرم أسامة من لعبة العيد التي تشتريها له ملاك كل عام. تتابع أم طارق «عدنا الى البيت أنا وأولادي الخمسة لوحدنا دون ملاك ووالدها، البيت كان مقلوباً رأسا على عقب، فلا كعك بقي على حاله ولا ملابس العيد لبست، فالزجاج المحطم كان أكثر لمعانا عليها».

واقتيدت ملاك برفقة ضابط كبير اسمه طلال الى دورية الاعتقالات مكبلة اليدين، ومغمضة العينين بعد أن احتجزونا في مدرسة ابن الهيثم أكثر من ثماني ساعات في البرد دون ملبس أو مطعم، وعدنا للبيت نلملم ما تبقى من بقايا منزلنا المحطم، وعندها وقفت انتظر ملاك ووالدها، فجل اعتقادي ان ملاك لن تغيب أكثر من ساعة هي ووالدها الذي لم تره حتى اللحظة سوى مرة واحدة. وأخيراً جاء الخبر اليقين، وجاء من يقول لي أن ملاك ووالدها اعتقلهم الاحتلال وأخذوهم الى معسكر حوارة ومن ثم الى السجون داخل اسرائيل. وبقيت أم طارق الآن في حيرة من أمرها، «شعرت وقتها أن إجازة العيد هذه كانت طويلة بل طويلة جداً، ففي كل يوم تنام عند أحد أقربائها، «فليس هناك بيت يأوينا، حتى أننا افترشنا الأرض والتحفنا السماء في البرد الشديد والعراء».

تقول الوالدة: «وقف الكل الى جانب ملاك، فقد أضرب زملاؤ هـــــا عن الدوام لمدة أسبوع، وقد رفض أساتذتها تأجيل الفصل الدراسي لها، بعد أن بعثت برسالة من معتقلها تخبرهم بذلك، وقالوا: «حتى لو جادت آخر يوم قبل انتهاء الفصل فستكمل دوامها بشكل طبيعي مثل زملائها، علما أن الفصل يؤجل تلقائيا بعد ثلاثة أسابيع من عدم الالتزام بالدوام». تقول أم طارق: «إن ملاك اعتادت ان ترسل رسائل لنا تخبرنا فيها عن وضعها، وكانت تتعمد ان تكتب رسالتها باللهجة المحلية، وقد كتبت لامها قصيدة من داخل المعتقل تقول فيها:

لسوف أعود يا أمي، اقبل رأسك الزاكي، أبث كل أشواقي، ارشف عطر يمناك، ويوم وداعنا فجرا وما أقساه من فجر، أعود يا أمي ولن ارتاح من سجني، ويبدأ عهدي الثاني ويزهر الغصن بالزهر.

ملاك والمعتقل

في السجن راحت الأسيرات يخبرن ملاك: «لقد جئت رحمة لنا، والمسؤولة قالت لي أن وجودي بالسجن نعمة حتى أقتل الروتين الذي يعيشونه»، تقول ملاك بأنها كتبت هذا الشيء لكي تخفف من أحزانها وهمها.

وبرزت ملاك داخل السجن من خلال تعاملها مع زميلاتها الأسيرات، فقد قدمت لهن دروس تجويد وقراءة وتفسير للقرآن.

مرة أخرى يكون لأسامة دور في قصتنا فهو الطفل الوحيد للأسرة الذي يحق له زيارة والده وشقيقته ملاك في سجون الاحتلال.

وتقول والدته بأنها ترسله لرؤية شقيقته ملاك ووالده، بعد أن منعت هي من الزيارة لحجج أمنية، لم يعرف سببها الى الآن.

وهي تنظر بعين الحسرة الى الأهالي الذي يزورون بناتهم، وتحبس دموعها، تسمع فجأة مأمور السجن يصرخ ويقول ملاك لك زيارة، قفزت الدمعة من عينها، وقالت أمي، وإذا بأحدهم يحمل أخاها على كتفه، ويصرخ أسامة ويقول ملاك، اسامة حبيبي كيف حالك وكيف أمي وطارق واسماء والكل، احتار اسامة في الاجابة وكان أكثر ما حفظه زجاج، شبك، شرطة، جيش، بارودة، بدي اطخ الشرطية وآخذ المفتاح وأشوف ملاك»، ومع ذلك فقد شبعت ملاك على حد قولها بالرسالة التي أرسلتها فيما بعد من النظر الى أسامة دون اللمس.

وعاتبني أسامة ثانية حين سألته عن «ملك» وكيف كانت زيارته له، وقال لي: «اسمها ملاك، مش ملك، لأنو ملاك غير ملك، وهي اسمها ملاك، عارف شو يعني ملاك».

المحكمة للالتقاء

وتتابع أم طارق الى الآن لم تتمكن ملاك من رؤية أبيها منذ لحظة اعتقالهما إلا مرة واحدة كانت في المحكمة يوم ١٧/٥/٢٠٠٥، وتعمد المحامي جعل الموعد الثاني لمحاكمة ملاك هو نفسه موعد محاكمة والدها، لكي تتمكن من رؤيته. واستدلت أم طارق بقول الشاعر ما كل ما يتمنى المرء يدركه، حين تحدثت عن ابنتها وقد تخرج طلاب شعبتها جميعا، وبقيت هي تنتظر في سجنها، «فكم تمنيت ان تتخرج مع زملاءها في الكلية التي تفتح لأول مرة في الجامعة، لتكون الأولى في كل شيء». وتضيف أم طارق خاتمة حديثها «الى الآن لا اصدق بان ملاك معتقلة، وفي كل لحظة يطرق فيها الباب اشعر بأن ابنتي أتت... ولا وما زلت انتظر...».

الحلقة الرابعة

وفقا للمعايير والاتفاقيات الدولية

نظرة أولية على حقوق المرأة في مشروع قانون الأحوال الشخصية الفلسطيني

المحامي علي ابوهلال

ثانياً: أهلية الزواج (سن الزواج)

تباينت الآراء حول إيجابيات وسلبيات الزواج المبكر في مجتمعنا الفلسطيني، كما هو الأمر في المجتمعات العربية والإسلامية، وانقسم المجتمع إلى موقفين، موقف يدعو إلى رفض الزواج المبكر، لما يسببه ذلك من أضرار صحية واجتماعية ونفسية، قد تلحق بالمجتمع والعائلة، وموقف آخر لا يرى ضرراً من الزواج المبكر، بل يؤكد فوائده وحسناته التي تعود على العائلة والمجتمع بشكل عام.

وتشير العديد من المعطيات والإحصاءات إلى شيوع ظاهرة الزواج المبكر في مجتمعنا الفلسطيني، وما ينجم عنها من سلبيات اجتماعية وصحية ونفسية على الأسرة الفلسطينية وعلى المجتمع بشكل عام، فالمسح السكاني في الضفة الغربية وقطاع غزة الذي أجرته دائرة الإحصاء المركزي الفلسطينية يشير إلى أن ٥٤،٨٪ من مجموع النساء اللواتي تزوجن عام ٢٠٠٣ كن في سن ١٤-١٩ عاما. وتفيد معطيات دائرة الإحصاء المركزي الفلسطينية للعام ١٩٩٥ أن ٤٢،٧٪ من نساء قطاع غزة تزوجن في سن السابعة عشرة أو أقل، و٣٩٪ من نساء الضفة الغربية تزوجن في سن السادسة عشرة أو أقل، وفي العام ١٩٩٨ كان٤٣،٣٪ من الزيجات في جنوب ووسط قطاع غزة و٣٩٪ من الزيجات في شمال القطاع تحت السن القانوني (أي ١٧ عاما)، أما في مناطق الضفة الغربية فكانت نسبة الزيجات تحت السن القانوني (أي ١٦ عاما) في ذلك العام كالتالي: ٤٣،٩٪ في رام الله والبيرة، ٤٣،٦٪ في جنين ٤٢،٧٪ في نابلس، ٤٢،٣٪ في القدس، ٤٢،١٪ في الخليل، ٤٣،٩٪ في طولكرم وقلقيلية، و٣٨،٥٪ في بيت لحم.

ويحذر د. مصلح كناعنة في دراسة له حول (ظاهرة الزواج المبكر في المجتمع الفلسطيني / تأثير العادات والتقاليد) من مدى خطورة ظاهرة الزواج المبكر في المجتمع الفلسطيني ،ويشير إلى أن نسبة اللواتي تزوجن في عمر ١٥ سنة أو أقل كانت عام ١٩٩٨ كالتالي: ٢٥٪ في جنين، ٢٣٪ في نابلس، ٢٢،٩٪ في طولكرم وقلقيلية، ٢١،٨٪ في رام الله ٢١،٧٪ في جنوب قطاع غزة ٢١،١٪ في القدس، ٢٠٪ في الخليل ١٩،٧٪ في شمال قطاع غزة، و ١٩،٧٪ في بيت لحم. وتصبح خطورة ظاهرة الزواج المبكر أكثر وضوحا، كما يقول الدكتور كناعنة حين نعلم أن ٩٢٠ من فتياتنا تم تزويجهنا عام ٢٠٠٣ وهن في سن الرابعة عشرة، وهذا العدد يشكل ٣،٥٪ من مجموع من تزوجن في المناطق الفلسطينية في ذلك العام. اثنتان من هؤلاء الفتيات اللواتي تزوجن في الرابعة عشرة من العمر، تزوجتا من رجلين يتراوح سنهما بين ٣٥ و ٣٩، واحدة تزوجت من رجل يتراوح سنه بين ٤٥ و ٤٩، وواحدة تزوجت من رجل فوق الخمسين.

وكان قانون الأحوال الشخصية لسنة ١٩٥١ المعمول به في الضفة الغربية يجيز للقاضي الإذن بتزويج المخطوبة التي أتمت الرابعة عشرة من عمرها إذا كانت هيئتها تحتمل الزواج، وتضمن قانون الأحوال الشخصية لسنة ١٩٧٦ حظر الزواج إلا إذا كان الخاطب قد أتم السادسة عشرة من عمره والمخطوبة أتمت الخامسة عشرة من عمرها.

أما في قطاع غزة فقانون الأسرة ينص في المادة الخامسة على أن سن الزواج للذكر هو ثمانية عشر عاما وللفتاة سبعة عشر عاما، وتمنح المادة (٦) من القانون الحق للقاضي بتزويج الشاب الذي لم يبلغ سن الثامنة عشرة إذا اقتنع القاضي بأنه بالغ، وتجيز المادة (٧) للقاضي تزويج الفتاة التي لم تبلغ سن السابعة عشرة إذا ما تبين للقاضي بأنها بالغة، وتؤكد المادة (٨) بأنه لا يجوز للقاضي تزويج الولد الذي لم يبلغ سن الثانية عشرة أو الفتاة التي لم تبلغ سن التسع سنوات، ما يعني عمليا بأن السن الأدنى للزواج في قطاع غزة تسع سنوات للفتاة واثني عشر عاما للفتى، وان سن الزواج للذكور ما بين (١٧ – ١٨) وللإناث ما بين (٩ – ١٢) متروكة لحكم وتقدير القاضي ورؤيته الخاصة.

ونصّت المادة (٣) فقرة أ من مشروع قانون الأحوال الشخصية للعام ٢٠٠٠ على أن (يشترط في كل من الخاطبين أن يكون عاقلاً، وأن يتم ثماني عشرة سنة من عمره) أما الفقرة ب فقد (أجازت للقاضي أن يأذن لمن هو دون سن الأهلية بالزواج في حالات استثنائية وبموافقة قاضي القضاة إذا كانت هيئته تدل على البلوغ وتحمّل الزواج بشرط موافقة الولي إذا كان الأب أو الجد وكفاءة الزوج).

وفي مشروع قانون الأحوال الشخصية لعام ٢٠٠٥ فقد تناولت المواد من ٨ – ١٠ أهلية الزواج حيث اشترطت المادة (٨) (في كل من الخاطبين أن يكون عاقلاً وأن يتم ثماني عشر سنة ميلادية). ونصّت المادة (٩) في الفقرة ١ على (يجوز للقاضي أن يأذن بزواج من لم يتم أو تتم الثامنة عشرة من عمره أو عمرها إذا كانت الهيئة محتملة وبموافقة قاضي القضاة) والفقرة(٢) حظرت تزويج الصغير الذي لم يتم السادسة عشرة من عمره ولا الصغيرة التي لم تتم السادسة عشرة من عمرها حتى ولو كانت الهيئة مكتملة في حين نصت الفقرة ٣ على أن (يكتسب من تزوج وفقاً للبند السابق أهلية التقاضي في كل ما له علاقة بالزواج وآثاره) أما المادة (١٠) فقد(حظرت إجراء أي عقد زواج مخالف للمادتين السابقتين ويعاقب كل من يخالف ذلك بالعقوبات المقررة قانونا).

ومن الجدير ذكره أن اتفاقية حقوق الطفل، التي اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٢٠/١١/١٩٨٩ قد كفلت حماية خاصة للأطفال الذين يتعرضون للاستغلال والحرمان وغير ذلك من الانتهاكات في مناطق شتى من العالم، وقد عرّفت الاتفاقية في المادة (١) «الطفل كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره».

وأكّدت اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة في الفقرة ٢ من المادة (١٦) أن لا يكون لخطوبة الطفل أو زواجه أي اثر قانوني.

وهذا يدل بوضوح على أن المعايير الدولية تعتبر زواج الأطفال باطلاً، ويجب ألا يترتب عليه أي أثر قانوني ملزم للطفل الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره.

وقد أكدت العديد من الأطر النسوية والقانونية في مجتمعنا ضرورة رفع سن الزواج القانوني بحيث لا يقل عن سن ١٨ عاماً لكل من الذكور والإناث عملاً بالمعايير الدولية في هذا الشان، وإن كنّا نلاحظ أن مشروع قانون الأحوال الشخصية لسنة ٢٠٠٥ قد تضمّن تطوراً ايجابياً عن القوانين السابقة في عدد من النقاط فيما يتعلق بأهلية الزواج، بما في ذلك ايقاع العقوبة على من يخالف نص القانون، فإننا نرى أن يحدد القانون الجديد سن الزواج بثماني عشرة سنة لكلا الزوجين، واعتبار أي زواج لمن هم دون هذه السن باطلاً، ولا يترتب عليه أي اثر قانوني ونرى أن لا يتضمن القانون أي استثناء على ذلك.

عن النتائج... المرأة... القانون

رائد أبو ستة

ما جرى من انتخابات حتى الآن، ومع الأخذ بعين الاعتبار اعادتها في بعض المحطات والمراكز، يشير وبما لا يدع مجالاً للشك على تراجع نفوذ التيار الوطني برمته، وعلى رأسه حركة فتح، لحساب تيار الاسلام السياسي الذي تتزعمه حركة حماس. وهذا يعني انحسار المشروع الوطني الذي تحمله منظمة التحرير الفلسطينية، بما يتضمنه من قيم ديمقراطية تنص على المساواة بين سائر المواطنين بغض النظر عن العرق والدين والجنس، كما تدعو بنص صريح الى المساواة خاصة بين الرجل والمرأة، كما ورد في وثيقة اعلان الاستقلال. انحساراً لصالح المشروع الأصولي، بكل ما يحويه من أيديولوجيا متطرفة.
ومحاولة البعض تعويم النتائج، والحديث عن أكثرية في المقاعد هنا وهناك، وادعاء الاضطهاد والتظلم من جور ذوي القربى، فهذا يقع في باب تبرير الهزيمة والتخفيف من واقعها، ولكنه إذا زاد عن حده فإنه يسير الى دفن الرأس في الرمل.

المرأة

لا مرشحة للرئاسة، ولا مقاعد محلية خارج اطار الكوتا، هذه حصيلة النساء من مشاركتهن في الانتخابات الرئاسية والمحلية في مرحلتيها الأولى والثانية. ليصبح الحديث عن مشاركة فاعلة للمرأة وتحقيقها لنتائج جيدة، كلام يجانب الحقيقة ويناقض الواقع، ويكشف زيف وسطحية الصورة التي تروج لها وسائل الإعلام عن المشاركة الواسعة للمرأة في العملية الانتخابية، ببث صور لحشود من النساء وبمختلف الأعمار يتوافدن على صناديق الاقتراع.
ان تلقي ورقة في صندوق الاقتراع، وتمضي، فهذا لا يعني أنك مارست حقك في التعبير عن رأيك والمشاركة في صنع القرار، بحرية واستقلال.
إنها صورة سطحية مجزوءة وانتقائية لمشاركة النساء في الانتخابات، والمتابع لحقيقة المشهد يدرك الأبعاد الأخرى للصورة الكاملة، التي لم تتجاوز حدود التبعية وإرادة أولي الأمر، فالتواجد في أي من مراكز الاقتراع كفيل بالتقاط صور لجموع من النسوة يُسقن لمراكز الاقتراع ويُلقن اسم المرشح ورقمه امام محطة الاقتراع فقط! كما ان المتابع لقوائم المرشحين يلحظ شح عدد المرشحات فيها، والذي يكاد يصل الى حد التنافس فقط على الحصة المقررة، وهنا لا أستثني قوائم القوى الديمقراطية.
قال أحدهم وقد أعياني وهو يحاول اقناعي بأن أحد الأسباب الرئيسية من تحقيق أحد مرشحي الرئاسة نسبة جيدة، مرده وسامته وحسن مظهره مستبعداً الرافعة الاجتماعية التي دعمته، مؤكداً أن كثيراً من النساء انتخبنه لهذا السبب فقط!. صوت تابع، وترشيح كمالة عدد وتصويت ساذج وعاطفي، بهذا الوعي المضلل يتحدثون عن مشاركة واسعة للنساء في الانتخابات!.
الثقافة كمصدر رئيسي للوعي المؤثر في السلوك الإنساني ونتائجه، كان لها الأثر الكبير في الحصيلة الانتخابية، خاصة إذا كانت من نوع الثقافة الرجعية التي تنظر للمرأة بدونية واستلاب عقائدي، على اعتبار انها ناقصة عقل ودين، وساذجة وعاطفية، لا يركن ولا يؤمن لجانب قراراتها.

القانون

ادعاء الفوز الساحق لأي من القوائم الفائزة في الانتخابات ليس صحيحاً إذا أخذنا بلغة الأرقام التي تؤكد ان القوائم الفائزة في معظم البلديات لم تتجاوز نسبة ما حصلت عليه الـ ٥٠٪ من حجم أصوات المقترعين، الا انها سيطرت على كافة المقاعد في تلك البلديات، التي تتحدث عن فوز ساحق فيها، رغم ان هذا المجلس المنتخب لا يعبر عن واقع وحقيقة توجهات الغالبية من المقترعين في هذه البلديات!.
هذا الخلل مرده القانون الانتخابي الاقصائي والانقسامي والمتخلف الذي جرت على أساسه الانتخابات، والذي أوجد حالة الاستقطاب الثنائي الحاد بين حركتي فتح وحماس، والتي أفرزت توتراً وانقساماً حاداً تداعياته مست بوحدة الصف الوطني خاصة في قطاع غزة.
ما جرى بإيجابه وسلبه، تجربة ديمقراطية طال انتظارها، ولكن السؤال الذي يبقى مشرعاً أمام الجميع وأخص القوى الوطنية والديمقراطية، ماذا تعلمتم وما عساكم فاعلون؟.

إلى أين نحن سائرون؟!

طلال عوكل

الوضع الأمني في البلاد وصل حالة صعبة خلال السنوات الثلاث الأخيرة بما يؤشر إلى ضعف شديد يعتري السلطة وأجهزتها الأمنية، وفقدان المواطن الفلسطيني لأمنه الشخصي بالمعنى الشامل لمفهوم الأمن.
هذا الوضع يثير شكوكاً كبيرة حول قدرة الأجهزة الأمنية على تلبية استحقاقات تنفيذ خطة الفصل أحادي الجانب التي تفترض إخلاء إسرائيل لخمس وعشرين مستوطنة، واحدة وعشرون منها في قطاع غزة، وأربع في شمال الضفة، فضلاً عن المواقع العسكرية والحواجز التي يقيمها الاحتلال في هذه المناطق.
تشير الإحصائيات المعروفة إلى تصاعد معدلات الجريمة بكافة أنواعها وأشكالها، حيث بلغ عدد الجرائم المسجلة في العام ٢٠٠٣ نحو سبعة عشر ألف جريمة ارتفعت في العام ٢٠٠٤، بنسبة نحو ١١٪ لتصل إلى ١٩٧٩٩ جريمة تم اكتشاف ١٧٤٩٣ منها، فيما لم يتم اكتشاف ٢٣٠٦ أي بمعدل ١١،٦٪.
هذا يعني أننا وفق معايير الحد الأدنى، نواجه ما يقرب من خمس جرائم كل يوم، عدا جرائم أخرى لا تصل إلى أجهزة الشرطة، والأجهزة الأمنية، بسبب الاحتلال، أو بسبب التستر اجتماعياً على مثل هذه الجرائم، وأيضاً هذا عدا عن أشكال من ممارسة العنف الجسدي واللفظي ضد النساء والأطفال، والتي قد يسوغها المجتمع على اعتبار أنها تندرج في اطار التربية والحقوق التي يمنحها الرجل لنفسه.
الكثير من هذه الجرائم يصل إلى مستوى القتل على خلفيات متعددة، إما الثأر أو الابتزاز، أو على خلفية الشرف، أو المشاجرات العنيفة، وبعض ضحايا هذه الجرائم ينتسبون للأجهزة الشرطية أو الأمنية.
وإذ لا يمكن أن نتجاهل دور الاحتلال الإسرائيلي في إضعاف السلطة الوطنية وأجهزتها، وفي خلق بيئة مناسبة لوقوع وارتكاب الجرائم بدوافع متعددة، فإننا لا نستطيع أن نلغي من عقولنا ما تتحمله الأجهزة والسلطة، والفصائل من مسؤولية عن مثل هذا الوضع.
بصفة عامة تنتشر في المناطق الفلسطينية ثقافة العنف وأخذ القانون باليد، في ظل غياب الروادع القانونية والأخلاقية، وفي ظل وجود حماية من أشكال مختلفة، فإما أن الجهاز يحمي المتجاوزين، أو حتى يدفعهم أحياناً، وإما أن الفصائل والجماعات المسلحة تقوم بحماية هؤلاء وإما أن العشائر المدججة بالسلاح تفعل ذلك.
الواقع أن المناطق الفلسطينية باتت تعيش أوضاعاً شبيهة بوضع لبنان قبل الاجتياح الإسرائيلي العام ١٩٨٢، فالأجهزة الأمنية تعاني من انقسامات حادة، ومن تعدد الولاءات الشخصية والحزبية والمصلحية، والفصائل والجماعات المسلحة التي لم نعد قادرين على ملاحقة أسمائها ومسمياتها، باتت تلعب دوراً مهماً في هذا المجال متذرعة بغياب السلطة، فيما تملك العشائر ما يمكن اعتباره ميليشيات مسلحة، تعجز عن تشكيلها بعض فصائل العمل الوطني.
القانون غائب، والقضاء ضعيف، والسلطة لا تملك إرادة القرار وفي أوقات سابقة لم تكن ترغب في امتلاك إرادة القرار، فيما الصراعات السياسية تنبئ بوجود سلطات متعددة بينما السلطة المركزية غير قادرة حتى اللحظة على ضبط أجهزتها الأمنية والشرطية.
في الأسبوع الماضي، أدت الصراعات بين الأجهزة الأمنية، إلى إغلاق طريق البحر مقابل مستوطنة «نتساريم» جنوب غزة. وفي اليوم التالي فوجئنا بعشرات المسلحين التابعين لجهاز الاستخبارات العسكرية، يقومون بمظاهرة مسلحة، بل مدججة بمختلف أنواع الرشاشات وقاذفات الـ«آر. بي. جي»، يطلقون النار بكثافة في الهواء، ويحتلون المجلس التشريعي في غزة، معلنين احتجاجهم على فصل الاستخبارات عن الانضباط العسكري وخلال أسبوع واحد قتل سمير الرنتيسي في رام الله والشقيقين علي وحسام فرج من نابلس.
هذه الظاهرة ليست معزولة، وليست الوحيدة، ومن غير المضمون أن لا تتكرر على خلفيات وبدوافع متعددة.
وفيما كنا نعقد اجتماعاً مع عدد من شخصيات رفح، وقبل ذلك مع شخصيات من منطقة خانيونس، في اطار البحث لتشكيل لجان للمساندة والحماية الأهلية، بغرض تعبئة المواطنين، للتعامل بشكل مناسب وحضاري مع تبعات خطة الفصل، وإخلاء المستوطنات، اشار هؤلاء إلى أن الكثير من المواطنين يحضرون أنفسهم لجني ما يمكن من الغنائم. على أن الأسوأ من ذلك، هو ما أشارت إليه تلك الشخصيات الوطنية المحترمة، من أن بعض المتنفذين، والمسؤولين، والتجار، وبعض الجماعات والفصائل المسلحة، يفكرون بالطريقة ذاتها، وان بعض هؤلاء وهذه الجماعات دخلوا في صفقات استباقية لوضع اليد على بعض الأراضي الحكومية، أو المؤجرة، وبعضهم الآخر يجري تحضيرات حثيثة لذلك.
فلنتصور معاً أية كارثة يمكن أن تحل بنا في مثل هذه الوضعية، وكم من الجرائم يمكن أن يقع، وفي أية صورة سنقدم أنفسنا للعالم؟
وإذا كان الوقت المتبقي، على لحظة الإخلاء، لا يكفي لترميم وترقيع ما أفسده دهر سابق، فإن السلطة الوطنية معنية بتكثيف إجراءاتها، وآليات عملها، وحواراتها، وعملها من أجل ترتيب صفوفها، لضبط هذا الوضع، أو على الأقل لتخفيف حدة الأضرار والخسائر. لا بد من التحرك عاجلاً ونعتقد أن الأمر يبدأ من صدور قرارات من الرئيس، تتصل برؤية السلطة للتعامل مع الممتلكات العامة والمال العام، وتضع حداً للمتنفذين قبل غيرهم حتى يمكن إقناع المجتمع بضرورة المشاركة الفاعلة والإيجابية في حماية وصيانة هذه الممتلكات والتصرف إزاءها بصورة حضارية تليق بشعبنا.

مهلا «ناسك الجنوب»

كوثر الزين

بيت الشعر لا جدران له... لا أبواب تصادر مفاتيحها ولا شبابيك يخلعها الغرباء بعنجهية توّهم العابر.. أثيري بيت الشعر لا سقف له سوى جماله التائق الى اللانهاية، ولا محتويات فاخرة يحتويها غير حصير مفرداته المسافرة في فضاء المعنى واللامعنى وما بعد وخلف المعنى بحثا عن برق الدهشة الخاطفة. حُرّ هو، الشعر كالهواء، كالماء، كلسعة الحب، لا يُخضعه منطق الجغرافيا، ولا يعترف بعقلنة الحدود وغباء هشاشتها. منيع كتخوم السماء، متمنع كلغز أسطوري... لأنه معنى والمعاني تصعب مصادرتها. لأنه جمال والجمال صعب المنال. لأنه حرية والحرية لا تختصرها جدران أربعة من ذهب أو من قضبان.
«هنا أعمّر لك بيتا لا يدخله الغزاة»
هكذا قال زاهي وهبة الشاعر لـ «رنا»، فتاة الجليل المثقل بالحسرة والغزاة. فتاة مدينة الناصرة التي استباح المحتلون قرع كنائسها وصادروا بيوتها وحقولها وما صادروا يوما من ذرات هوائها أنفاس المسيح الذي صلبوه قبل ألفي عام.
بيت لا يدخله الغزاة، هو البيت الذي وهبه زاهي لفتاته القادمة من وطن المعاني المثقلة. بيت من الكلمات، لا يخذله (الزمكان).
هكذا بدا زاهي الشاعر في استضافة الاعلامي (محمود سعد) له على قناة الـ(أم بي سي). حرا منتصرا على كل الغزاة، أولئك الذين اغتصبوا وطن الزيتون والبرتقال وأولئك الذين اغتصبوا ابوّة لبنان حين صادروا حياة رفيق الحريري وألقوه جثة متفحمة على رصيف بيروت العتيق.
أما زاهي وهبة الاعلامي فهو الراغب في الانزواء المسكون بحلم الرعاة، تراوده العودة الى قريته حيث الغروب والناي وقطعان الغنم الوديع، وحيث الشعر والقراءة تحت ضوء القمر الخجول والقناديل الشاعرة بخفوتها، بعيدا عن أضواء الشهرة الخانقة بسطوعها.
يراوده الحلم ان يحيا حياة الراعي وينقطع للتأمل والشعر والكتابة هناك حيث حبا ونما وترعرع كأي زرع جنوبي، وحيث «طاحونة فرحه» الأولى لا تزال تمارس طقوس أمومتها المبذولة وعطاءها الأزلي دون تكلف أو طمع.
فهل سيعرف لبنان وأدب لبنان ناسكا آخر بعد ناسك الشخروب (ميخائيل نعيمة) الذي انقطع آخر عمره للتأمل والقراءة؟ وهل سيتحول زاهي وهبة من رجل إعلام لامع تحت الأضواء الباهرة الى «ناسك الجنوب» الغارق في عشق الريف والشعر والتأمل؟
والتأمل لا يشرح ولا يوصف وانما يعاش. لعله حالة سكون عميق، حالة تصالح مع الاعماق، حالة من التماهي مع إيقاع الكون وناموسه الالهي، مع قانون الطبيعة في أزليته وصيرورته لذلك قليلون هم من يتقنون فن التأمل ومن يعرفون متعته. قليلون هم كما الانبياء والحكماء وأيضاً الشعراء.
فهل أغرت صوفية التأمل زاهي بفتنتها وراودته عن نفسه الشاعرة؟ أم هل زلزل موت رفيق الحريري–الأب الروحي– علاقته بالأشياء، فكفر بغرور المدن التي تغتال أبناءها والأقوام التي تقتل انبياءها وآثر ان يتداوى من وجع المدينة الخائنة اللعوب بعفة القرية ونقاء نبع مستسلم لنداء الحقول؟ فآثر ان يهرب من «ذئبنة» البشر الى وداعة القطعان الحالمة؟ أن يشيح بوجهه نحو الجذور هرباً من مرارة اللحظة وقسوة العاصفة؟ وأن يستلم من (جبران) نايه ويدخل الغاب متلمسا طريق الخلود؟
هل استنفذت المدينة كل اغراءاتها لشاعر معجون بماء الصدق عاش يرفض ان يقاس بنوعية ساعته وسعر حذائه، أم لابن بار فقد الأب مرتين احداهما على بوابة الرحيل والأخرى على رصيف المؤامرة؟
مهما كانت الأسباب نقول لزاهي: انتظر قليلا «ناسك الجنوب» فلم يستنفد بعد «خليك في البيت» كل فضولنا وكل لهفتنا وكل الحقيقة المغمورة تحت الغبار اللامع. ما زلنا نحتاج اليك وننتظر منك ما بعد (خليك بالبيت) ليقعدنا في بيوتنا ويمنح شاشتنا نقاء اسبوعيا من الجدية والعمق والثراء. فلا تتركنا وحيدين وسط العتمة ووسط كمّ التفاهة المتراكم حولنا.

حققن نجاحاً لم يكنّ يتوقعنه

ثلاث طالبات وثلاثة أفلام وثائقية

فايز أبوعون

ببعد ثقافي، وحس فني، وطموح دراسي، انسلت الفنانة رباب من بين زملائها، وزميلاتها الطلبة والطالبات، لتُكون لنفسها وبنفسها، لوناً فنياً آخر مختلفاً عنهم بمدلولاته ومعانيه، ومن طموحها اللامحدود، طريقاً نحو الشهرة والنجاح. حلمت رباب، فحققت حلمها، وعقدت العزم على شق طريقها نحو التعليم الفني، فساعدها أهلها، انخرطت في مجال العلم والعمل معاً، فتميزت بنجاحها، إلى أن شاهدت وشاهد معها الآخرون ثمرة جهدها وزميلاتها، ثلاثة أفلام تنتظر إشارة البدء لبثها على الملأ.

«بسمة أمل»، و«كي لاننسى»، و«جوال»، أسماء لثلاثة أفلام، تتناول ثلاثة مواضيع اجتماعية مختلفة من المعاناة اليومية للمواطنين، هي من عكفت مع ثلاث طالبات هن رباب أبوقاسم، وفاطمة أبوسمرة، وأمل أبو يوسف، من قسم فنون التلفزيون، بكلية فلسطين التقنية، على المشاركة في إعداد نصها، وكتابة سيناريوهاتها، وإنتاجها، وإخراجها، وأيضاً تصويرها تلفزيونياً، بمشاركة عدد من زملائهن الطلبة، تحت إشراف أساتذة ومحاضري القسم.

الأفلام الثلاثة، ورغم أنها جاءت ضمن متطلبات التخرج في القسم، وفي إطار التدريب العملي لما تمت دراسته خلال سنوات الدراسة، إلا أن الطالبات أخرجن كافة الطاقات الكامنة لديهن، من أجل تطوير المستويات الإبداعية والابتكارية لديهن، ليتحولن إلى نجمات إما تلفزيونية، أو إذاعية. في بادئ الأمر لم يدرك المواطنون، أنه بإمكان أي فتاة لديها الجرأة، وقوة الإرادة، أن تخوض غمار المعركة الفنية أسوة بزملائها الطلاب وربما أكثر منهم بكثير، فتحمل على كتفها كاميرا التصوير التلفزيوني الخاصة بالعمل، وتبدأ بتطبيق ما تعلمته نظرياً، على أرض الواقع.

تقول رباب: «حين يلاقي الفنان، لا سيما الفلسطيني، التشجيع المعنوي، والدعم المادي، من الممكن أن يُبدع، ويطلق العنان لطاقاته المكبوتة أن تُترجَم إلى شيء ملموس، وذلك كوننا شعباً يحب الحياة، ولدينا من الأشياء الكثير، لأننا نعيش الفرح والحزن معاً في آن واحد، ولدينا القدرة للتعالي على الجراح، وتحويل لحظات الحزن الجارف، إلى لمسات فرح عابر.

المجهول الذي أبحث عنه

لم أجد صعوبة مع الكاميرا، لأنني أحسست أنها الشيء المجهول الذي كنت أبحث عنه، والذي سيحقق طموحي بأن أكون إما مصورة صحافية، أرسم بعدستها ملامح طفل يبتسم، أو آخر يبحث عن كراساته بين أنقاض منزله المدمر، أو عن فسيلة غرسها صاحبها بعد أن اقتلع الاحتلال نخلتها الأم، وإما أن أكون مراسلة أو كاتبة صحافية، أكتب ما يجيش بخاطري، ويختلج به صدري من معانٍ كثيرة إما مفرحة أو حزينة.

التصوير الميداني، ولقاء المواطنين، وأخذ آرائهم في قضايا اجتماعية عديدة، ووضع اليد بالكلمة والصورة معاً على معاناتهم، كان البلسم الشافي لكل همومي، وتحقيقاً لكل آمالي وطموحي، وتعزيزاً لثقتي بنفسي، رغم أنهم لم يكونوا في بادئ الأمر مع فكرة أن فتاة تحمل على كتفها كاميرا، وتدور بها يمنة ويسرة، تسلط عدستها في هذا الاتجاه، وتلتقط بها تلك الصورة، كونهم تعودوا أن يروا الرجال من يقوم بهذه المهمة التي اعتبروها صعبة.

منهم من قدم نصيحته على أنها ثقيلة ولا يقدر على حملها إلا الرجال، ومنهم قال إنها بحاجة إلى رجل يخوض بها غمار المعركة، ويلتقط المشاهد الساخنة، وقليلهم من قال إن الإرادة تصنع المستحيل، ولا فرق اليوم بين شاب وفتاة لديهم القدرة على تحقيق طموحهم.

المهندسة إحسان أبوصبحة رئيس قسم الفنون التطبيقية في كلية فلسطين التقنية بمدينة دير البلح، وصفت طموح الطالبات بأنه غير عادي، كونهن يشاركن بثقل كبير، ليس في المونتاج أو الإخراج فحسب، بل وفي الإعداد والتصوير، وإجراء الحوارات، وكتابة النص أيضاً. وتقول أبو صبحة إن جميع الأفلام التي شاركت فيها الطالبات حققت نجاحاً باهراً ومنقطع النظير، فمثلاً فيلم «الموت قبل الحياة» والذي يحكي قصة امرأة فلسطينية حامل في شهرها الخامس أُجهضت داخل منزلها حين تعرضت للإصابة بعيار ناري في بطنها، أطلقه عليها جندي إسرائيلي، وأيضاً فيلم «الضغط يولد الانفجار»، حازا على جائزتين تقديريتين من إلـUNDP. وتضيف قائلة: «رغم قلة عددهن والذي يتراوح ما بين خمس إلى سبع طالبات في الفصل الواحد، مقارنة مع الطلاب الذي يصل عددهم إلى نحو ٢٥ طالباً، إلا أن الجميع يشعر أن لديهن موهبة منذ اللحظات الأولى لالتحاقهن بالفصل الدراسي من خلال مشاركتهن الفاعلة في النشاطات المنهجية، واللامنهجية». ولم تخف أبوصبحة سعادتها كون أول خريجتين عملن في التلفزيون الفلسطيني في قسم المونتاج الإلكتروني، ومونتاج فيديو تيب، وضابط الصوت والصورة، هن من خريجات قسم الفنون بالكلية، حيث اعتبرت أن نجاحهن في مجال العمل أعطى بريق أمل لعدد كبير من الخريجين والخريجات للالتحاق بالتلفزيون إلى أن بلغ عددهم أكثر من ٢٥ طالباً وطالبة في جميع الأقسام.

ولم تكن أمل أبو يوسف طالبة في سنة ثانية، قسم فنون التلفزيون، من سكان مخيم النصيرات، بمحافظة وسط القطاع، أقل حظاً من زميلاتها في مجال إنتاج الأفلام الوثائقية، حيث شاركت في كتابة السيناريو، والتصوير التلفزيوني، والمونتاج لفيلم «بسمة أمل» والذي هو عبارة عن مشروع تخرجها لهذا العام.

مستوحاة من الواقع

استوحت أمل فكرة فيلمها من الواقع الذي تعيشه عشرات بل مئات النسوة اللاتي لم ينعم الله عليهن بنعمة الإنجاب، ولم ييأسن من رحمة الله، بل يتوجهن لتشخيص حالتهن المرضية، فمنهن من تنجب بعد سنوات طوال، إما بفعل العلاج، أو بعملية زراعة، ومنهن من ترضى بما قسم الله لها. وتقول لقد حقق الفيلم نجاحاً كبيراً على مستوى من شاهدوه، كونه يتلمس جرح الكثيرين في مجتمعنا الفلسطيني، وكونه استوحى فكرته من واقع حي لامرأة عاشت ما يقارب السبعة والعشرين عاماً دون أن تتمتع بنعمة الإنجاب، إلى أن اهتدت وزوجها لفكرة الزراعة، التي أثمرت عن طفلين كان لهما الأثر الكبير في تغيير مجرى حياتهما من النقيض إلى النقيض. ومن هنا يبقى طموح الفتيات الثلاث، هو طموح المئات من الخريجين اللاهثين وراء فرصة عمل تؤمن لهم مستقبلاً أفضل في وطن لم يستطع فيه الكثيرون إلا أن ينضموا لجيش العاطلين عن العمل، لينظموا اعتصاما هنا، ومسيرة هناك لحث المسؤولين على التحرك.

رندا غازي أصغر روائية في العالم تحلم بزيارة القدس بتأشيرة فلسطينية

رائد حماد

حكاية رندا غازي مع روايتها «أحلم بفلسطين»: الصداقة والحب والحرب ومع الأدب عموماً بدأت في احدى الأمسيات منذ ثلاثة أعوام، وقتها كان عمرها ١٣ عاماً فقط، وقد اهتزت في تلك الليلة بعنف وهي تشاهد الطفل الفلسطيني محمد الدرة يسقط شهيداً وهو في أحضان والده، ليلتها اعتصرها الألم وشعرت بأن خنجراً مسموماً قد اصاب قلبها.

هذه هي المؤلفة المصرية رندا غازي ابنة الخمسة عشر ربيعاً والتي تعيش في احدى ضواحي مدينة ميلانو الايطالية.

أحلم بفلسطين

استطاعت رندا غازي ان تصبح حديث اوروبا كلها بعد ان اصدرت اولى رواياتها التي تحمل اسم «أحلم بفلسطين».. الصداقة والحب والحرب والتي باعت منها ١٥ ألف نسخة في إيطاليا وحدها وترجمت الى ثماني لغات وأصبحت هدفاً للجماعات الصهيونية التي تظاهرت أمام دار النشر الفرنسية التي اصدرت روايتها ونظمت اكثر من وسيلة للاحتجاج على ما جاء في الرواية وتخطط الى جرها لساحات القضاء.

رندا غازي ومنذ الصغر وهوايتها المفضلة هي القراءة ولم تكن تعرف الكثير عن القضية الفلسطينية بل كثيرا ما كانت تدافع عن موقف اليهود وحقهم في ان يكون لهم وطن، خاصة ان ما ينقل لهم من وسائل الإعلام في اوروبا، مفاده ان الجنود الاسرائيليين يقتلون فقط مثيري الشغب من الفلسطينيين، لكن مقتل الطفل محمد الدرة أمام أعين الناس في العالم جعلها تغير نظرتها هذه، فقد انتابتها حالة غضب صامتة خرجت بعد يومين بصورة قصة قصيرة من سبع صفحات، وبالمصادفة كانت وقتها تعقد مسابقة ادبية على مستوى ايطاليا فشاركت فيها بتشجيع من والدها، ولاقى موضوع القصة استحسان عدد من الحضور الذين كانت من بينهم احدى المسؤولات في دار «ريزولي كوريري دبلاسيرا» وهي احدى اكبر دور النشر في ايطاليا وفازت قصتها بالمركز الثاني في هذه المسابقة.

القصة... الرواية

بعد عدة ايام طلبت منها دار النشر ريزولي تحويل القصة الى رواية لكن فقط في اسبوعين ورغم صعوبة الامر الا انها قررت خوض التجربة فكان عليها الذهاب صباحا الى المدرسة والكتابة بقية اليوم.

وقد قامت دار النشر بتوفير عوامل النجاح للرواية، اضافة الى ان موضوعها جذب وسائل الإعلام للقضية التي تثيرها، وبالتالي أقبل الناس على شرائها ورتبت لها دار النشر ندوات في كل انحاء ايطاليا لتقديم الرواية، وقدمتها في معرض بولونيا لكتب الاطفال باعتبارها اصغر روائية في المعرض.

الرواية تحكي عن شبان فلسطينيين وجدوا انفسهم وحيدين في الحياة بلا بيت او أسرة، بعد ان قتل جنود الاحتلال الصهيوني أسرهم وهدموا منازلهم، فقرروا العيش معاً محاولين الانتصار على الموت الذي يريده لهم جنود الاحتلال الصهيوني. وشخصيات الرواية هم ابراهيم بطل الرواية وريهام وأحمد ووليد تجمع بينهم الصداقة والحب رغم الخوف والحرب، ولكن للأسف هذا لا يتاح لهم فتنتهي الرواية بموتهم ولا يبقى الا ابراهيم الذي يعيش حياة بلا حياة بعد ان فقد كل شيء؛ أسرته وأصدقاءه.

منذ أن لاقت الرواية هذا الصدى الجيد في ايطاليا واجهت رندا هجوما عنيفا، في الندوات والمحاضرات التي كانت تقدم فيها الرواية، وفي المكتبات العامة والنوادي الثقافية من قبل بعض اليهود الذين كانوا يحضرون هذه الندوات، لكن الذي حدث انه عندما ترجمت الرواية الى الفرنسية قام مركز سيمون ونفرنتال بمهاجمتها مدعياً انها تشجع على الإرهاب، وقامت التظاهرات أمام دار النشر الفرنسية لمنعها من توزيعها.

آلاف النسخ للتبرع

ولقد ترجمت الرواية الى ثماني لغات وسوف تصدرها دار الشروق في القاهرة باللغة العربية، وسوف تصدر ايضا باللغة العبرية ولقد بيع في ايطاليا وحدها ١٥ ألف نسخة وسوف تتبرع رندا من مبيعات الرواية الى جمعيات الإغاثة في فلسطين علماً بأن رندا من أصل مصري.

الإعلام العربي إلى أين...؟

ربى عنبتاوي

لا ينكر أحد عولمة عصرنا بحسناتها وسيئاتها المنهالة علينا بكثافة والمقتحمة لأساليب حياتنا وبيوتنا بشكل غير مسبوق ومركّز في الفترات الأخيرة، بحيث أنها تغرس مفاهيم وسلوكيات لم تكن من قبل شائعة، لتصبح الآن ظاهرة تمتد إلى مجتمعاتنا وكأنها أمر واقع علينا التكيّف معه، ووضعه في قالب المشكلات الاجتماعية العصرية، والتي يجب حلها بتعقل ودراية.

هذا على صعيد الإعلام العالمي الذي من البديهي أن يحمل معه مضامين مختلفة، نظراً لثقافات وبيئات مختلفة كل الاختلاف عن تراثنا وحضارتنا العربية، ولكن حين يصبح الإعلام العربي متساوياً بالتأثير والأفكار، ويصبح وعاءً تصب فيه كل سلبيات العالم لتقذف داخل بيوت الأسر العربية ذات الطابع المحافظ، دون استئذان، وبتكثيف متلاحق ليجعل عملية الاصلاح تبوء بالفشل، وعملية الضبط من قبل الأهل تتسم بالصعوبة، وتحتاج إلى جهد ووعي وتحمل مضاعف مئات المرات، في محاولة إثبات الخطأ من الصواب والتصدي لتيار الإعلام الهابط، الذي لا يهدأ ولا يمل.

في السنوات الأخيرة، تفاقم وضع الإعلام العربي حين غزت البيوت المحطات الغنائية التي تبث سلوكيات وتصرفات معيبة ولا أخلاقية. وبرامج التتفيه وحصر طموح الإنسان بالغناء والفن دون أن نلمس برامج علمية أو ثقافية بالقدر نفسه والاهتمام والميزانيات، ولا ننسى برامج إشغال الحواس والفضول عند المشاهد وإهدار وقته ساعات وساعات وهو يراقب أشخاصاً يأكلون ويشربون وينامون من خلال ما يعرف بتلفزيون الواقع، دون أية فائدة تذكر.

وهنا في فلسطين، استطاع الإعلام العربي المتمثل في الأفلام والمسلسلات العربية أن يخلق ظاهرة الزواج العرفي، والتي نلحظ كم يبسطها ويشرعها من خلال طرحها «كأمر عادي شائع يقع فيه معظم الشباب، ليس عليه غبار سوى أنه يغفل حقوق المرأة»، وللأسف وأقول بصدق أنه عندما يرى المشاهد العربي نجوماً وفنانين والذين أصبحوا. شئنا أم أبينا نماذج ومثلاً عليا للشباب، نراهم يمثلونه ويجسدونه كأمر طبيعي مستساغ، وقد يقدمون عليه في حياتهم الواقعية. كفضيحة أحمد الفيشاوي الأخيرة، فهو أمر في غاية الخطورة.

حتى وإن طرح موضوع الزواج العرفي بهدف إقناع المشاهد بخطأ الإقدام عليه، فإن إيجاد الحلول دائماً وتبسيط الأمور والنهايات السعيدة لا تعكس خطره وسلبياته، ولا تردع النفوس الضعيفة وغير الواعية الإقدام عليه. أثارني موضوع الإعلام والزواج العرفي لحادثة سمعتها في أوائل أيار، عن كشف ثلاث أوراق زواج عرفي في حقائب طالبات في إحدى مدارس القدس، بعد إبلاغ الشرطة عن عملية سرقة ذهب من إحدى الطالبات، تبعته حملة تفتيش مكثفة أظهرت المستور.. والنتيجة المحزنة أوراق زواج عرفي، المؤسف أن الأمر ليس مقتصراً على القدس، بل نسمع عن حوادث وجرائم وإحصائيات تؤكد تفشي الظاهرة في جميع أنحاء الوطن. وبالتالي أوجه سؤالاً صريحاً إلى الإعلام العربي، أكان للزواج العرفي في فلسطين تحديداً مكان قبل عشرين سنة؟ وهل كان للشباب أن يقدم عليه لولا الضوء الأخضر من الإعلام العربي؟ لست ضد طرح مواضيع شائكة تنهش المجتمعات العربية كمثل هذا الزواج، والذي حسب آخر الإحصائيات قد وصل في مصر إلى سبعة ملايين حالة، ولكن.. فلندرس ملياً المادة الإعلامية ليس مرة أو اثنتين بل عشرات المرات، لأنه بعدم اكتراثنا وإهمالنا، بل ولتعمد البعض منا، سنهدم قروناً من رسالتنا الحضارية والدينية يتطلب إصلاحها الكثير الكثير.

هموم غير عادية
لامرأة عادية

بقلم: عطاف يوسف

لماذا ننسى؟!

أمور كثيرة تحدث في حياتنا وسرعان ما ننساها، لأنها لا تعتبر ذات أهمية، ولا يكون لها أي تأثير على مجرى حياتنا. وهناك أمور لا يستطيع الإنسان نسيانها مهما حاول، وحتى لو كانت لديه رغبة شديدة في نسيانها، تظل تدق، ويعتقد الإنسان أنه نسي، لكنه سرعان ما يكتشف أنه تناسى، وما أن ينفخ أحدهم ويطير قليلا من الرماد، حتى تعود الذكرى تدق كناقوس يلغي نعمة النسيان.

في الرابع من حزيران أقامت جهة ما – مشكورة – في هذا الوطن، تكريما للشهداء الذين سقطوا خلف قضبان السجون الإسرائيلية أو الذين أخرجوا من خلف القضبان بعد أن تأكد السجان أنهم لن يلبثوا طويلا حتى يغادرون الحياة برمتها، بعد أن أنهكت سنوات السجن الطويلة قواهم، وجعلتهم على شفى حفرة من الموت.

كنت إحدى المدعوات لحضور تكريم زوجي، الذي أخرجه السجان بعد أن فتك مرض السرطان بجسمه، واعتقد أنه لن يصل الأردن، وسيموت على الجسر، لكنه وصل وقاوم المرض، وعاش بعدها تسع سنوات كانت عمر زواجي منه، أنجبنا خلالها ولدين كانا ثمرة ذلك الزواج وما تبعه من حب كبير.

ملاحظات كثيرة سجلها ذهني على ذلك التكريم، فلم يكن يليق بالمكرَمين ولا بذويهم، حيث سادت الفوضى وعومل الشهداء كأرقام، كما لو أنهم خريجي توجيهي، حيث كان ينادى على اسم الشهيد فيعتلي المنصة أحد أقاربه ليستلم درعا، ثم يعود إلى مكانه، دون أي تعريف بذلك الشهيد، أو بعدد السنوات التي قضاها خلف القضبان، أو كيف استشهد ومتى، أو ماذا ترك خلفه.

أقيم الاحتفال في الرابع من حزيران الذي يحمل ذكرى استشهاد أحد أبرز السجناء الفلسطينيين، حيث قضى في السجن أكثر من عشرين عاما. إنه عمر القاسم ابن القدس، مانديلا فلسطين، الذي تركه السجان نهبا لداء السرطان حتى نهش جسده كله وأوصله إلى الموت، دون الافراج عنه ليتلقى أي علاج. وعندما نودي على اسمه، توقعت أن يشير عريف الحفل أو أي من المتواجدين على المنصة، أن عمر القاسم استشهد في مثل هذا اليوم، لكن ذلك لم يحصل.

الذكرى الثانية التي تصادف في نفس اليوم، هي ذكرى اجتياح القوات الإسرائيلية لجنوب لبنان في أكبر اجتياح عرفته المنطقة، وصولا إلى أول عاصمة عربية – بعد القدس– تدخلها القوات الإسرائيلية وتسيطر عليها، وما نتج عن ذلك الاجتياح من مذابح أبرزها صبرا وشاتيلا، وما أدت إليه من خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت، وتشتتها في كل بقاع العالم، وما جرى بعد ذلك وأوصلنا إلى ما نحن فيه الآن.

في اليوم التالي أي الخامس من حزيران – وكنت ما أزال تحت وطأة ما جرى بالأمس – ذهبت صباحا إلى مكان ما، اضطررت لكتابة تاريخ ذلك اليوم، تمتمت قائلة "اليوم المشؤوم". اعتقدت أن الموظف لم يسمعني، فإذا بي مخطئة، فسألني لماذا هو مشؤوم؟ نظرت إليه مستغربة وقلت: إنه الخامس من حزيران. فقال مندهشا: ماذا يعني ذلك؟ قلت مشددة على الخامس من حزيران إنه ذكرى احتلال ما تبقى من فلسطين، واستدركت قائلة: يبدو أنك لم تكن مولودا في ذلك الوقت. في المساء تكررت الحادثة مع موظف آخر، في مكان آخر من رام الله، العاصمة الثانية لفلسطين، ومقر إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية والوزارات المتعددة، والمراكز الثقافية ومنظمات المجتمع المدني.

عدت إلى بيتي لأشاهد الأخبار، وحدهم أصحاب الأرض المصادرة تذكروا تلك المناسبة، ذهبوا إلى أرضهم يقفون أمام الجرافات الإسرائيلية، محاولين منعها من اقتلاع زيتونهم وتجريف أراضيهم، ليلتهمها جدار الفصل العنصري.

كم تمر السنوات مسرعة، فها قد مر على ذلك الاحتلال ٣٨ عاما، وعلى الاحتلال الأول ٥٧ عاما، ولدت خلالها أجيال كثيرة عاشت إما في المنافي، أو بقيت في الوطن تقارع الاحتلال.

لكن الغريب أن هذه الأجيال، أو لنقل بعضها لا يعرف التاريخ، إما عن قصد، أو أنه يعرف ويتجاهل أو ينسى. ربما هناك عذراً للأجيال الي عاشت بين النكبة والنكسة، فلم تكن المناهج تتطرق لا من قريب ولا من بعيد لما جرى في فلسطين لا تاريخيا ولا جغرافيا، والأجيال التي عاشت بعد عام ١٩٦٧ درست منهجا سعى جاهدا لطمس التاريخ والجغرافيا والكرامة الإنسانية، لكن الكثير من تلك الأجيال لم يعتمد على المنهاج فقط، وإنما سعى جاهدا للتنقيب بين صفحات الكتب لمعرفة ما جرى ولاستشراف ما سيجري، فمن لا يعرف ماضيه لن يفهم حاضره، وبالتأكيد لن يستطيع التخطيط لمستقبله.

لكن يبقى السؤال من المسؤول عما يجري؟ ولماذا تجهل الأجيال الشابة تاريخها وجغرافيتها؟ من المقصر؟ أهي السلطة ممثلة بوزارة التربية والتعليم ووزارة الثقافة؟ أم هم المدرسون الذين يدرسون الطلاب فقط ما هو مكتوب في الكتاب لينتهي آخر العام بعد تقديم الامتحان في سلة المهملات؟ أم هو المنهاج الذي لا يحث على البحث والتقصي؟

اليوم لم يعد هناك عذراً لأحد بعد الانتشار السريع للإنترنت والفضائيات ووسائل الإعلام الأخرى، لكن تبقى مسؤولية على الأهل أيضا في تعليم أبنائهم والحديث معهم عما جرى، فعلينا أن لا ننسى تعليم أولادنا.

هو
وهي

كانت تحدّث أشجارها

زياد خدّاش

أثمة علاقة ما بين المرأة والشجرة؟ طلبتُ من تلاميذي مرّة أن يرسموا امرأة، فرسم أحدهم شجرة، آخرون رسموا ضباباً وبحراً وساحلاً ومطراً وباباً. لم تهزّني في رسوماتهم سوى الشّجرة – لكني لم أعرف في حينها لماذا، طلبت من تلاميذي أن يحولوا رسوماتهم إلى جُمَل أو نصوص قصيرة. بينما غرقت أنا في صورة الشّجرة بحثاً عن امرأتي فيها أو بحثاً عني أو عن أشياء مبعثرة أحسها ولا أستطيع أن أحدّدها أو أقبض على أجزائها.

سالم: هي كائن مثل الضباب غريب ينقشع بسرعة لكنه يجدد غموضه بسرعة أيضاً.

حسام: مثل البحر هي عميقة وواسعة قد يغرق فيها الرجال وقد ينجون وقد يبقون معلّقين ما بين النجاة والغرق.

أيمن: مخلوق يشبه السواحل ترتاح فيه السفن أو تستعد لسفر بعيد.

عادل: إنسان يشبه الباب حين نفتحه قد نرى الجنّة أو النار، وقد نرى أبواباً أخرى، فتمضي حياتنا في فتح الأبواب والبحث خلفها.

أحمد: كم تشبه الشجرة هذه المرأة ولا أعرف لماذا وكيف؟ انتهت الحصة، انتهى اليوم الدراسي، انتهى العام الدراسي، ذهب الطلاب إلى عطلة الأذهان، سكنت السبّورة، هدأتْ مقاعد الصفوف. ذهبت أنا إلى تمزّقاتي واضطرابات قراراتي: هل سأعود إلى مهنة التعليم العام القادم؟

وجدت نفسي أعود إلى دنيا الرتابة مسكوناً بصورة المرأة "الشجرة". نسيت متاعب المهنة من سياط الجرس إلى ألم تكرار الأيام الدراسية، كان أحمد يهاتفني طوال أيام العطلة، يسألني سؤالاً واحداً: هل فككت لغز العلاقة يا أستاذ؟ يطول صمتي على الهاتف، فيغلق أحمد السماعة كأنّه يعتذر عن إرباكي. على جدران سور المدرسة العالي فوجئت بأربع شجرات مرسومات بتأنٍّ بالغ، على جذوعها وجوه أربع نساء، في الصف كان أحمد يبتسم بهدوء وهو يقول لي: «أحببت أن أشرك طلاب المدرسة الستمئة في البحث عن لغز العلاقة».

البيت قديم ومتهالك، بعيد عن المدينة وقريب في آن، شجر كثير حوله وكلاب، يا إلهي ماذا تفعل الكلاب حول هذا البيت؟! تسكنه امرأة عجوز مجنونة، الضوء لا يعرف هذا البيت، النوافذ مغلقة دائماً وبإصرار، المرأة العجوز التي لا يعرف اسمها وحكايتها أحد، لا تخرج من البيت إلاّ بعد منتصف الليل، تطلق الصيحات الغامضة وتحدّث أشجارها، الكلاب تخرج عن هدوئها وتطلق هي الأخرى نباحها المتواصل. تصحو الحارة، تتأفف النساء، يغضب الرجال، يخاف الأطفال، لكن أحداً لم يجرؤ بعد على الاقتراب من البيت القديم المعتم والمرأة المجنونة والكلاب.

– وما علاقة هذه القصة بموضوع المرأة – الشجرة يا أستاذ؟

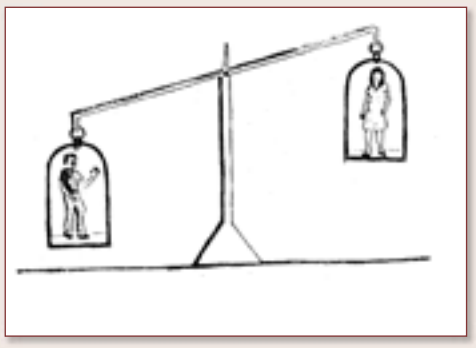

– ماذا كانت تقول المرأة العجوز المجنونة للشجر؟

هل هو مفتاح لغزنا، لو أننا سمعنا بوضوح بعض الكلمات، لاقتربنا من الحل. لكن أحداً لا يستطيع أن يقترب ليسمع الكلمات الهامسة، فدائماً الطريق إلى اللغز محفوف بالخطر.

– هل أنت متأكد أن هناك شجراً كثيراً حول البيت القديم يا أستاذ؟ سألني طالب مبتسم درّبته على فن الربط بين الأشياء وتبديل المواقع.

– هل أنت متأكد أن هناك امرأة مجنونة وكلاباً وبيتاً قديماً يا أستاذ؟ سألني طالب آخر علمته فن التشكيك في كل الحكايات لأن لا شيء نهائي ومؤكد في هذا العالم. طلب الطلاب عنوان بيت المرأة العجوز. قلت لهم حين تعرفون تفاصيل الكلام الخافت ما بين الشجر والمرأة ستعرفون فوراً عنوان البيت. قال ليث: ما دام بعض الطلاب وأنا منهم نعتقد أنك ابتكرت حكاية البيت والكلاب والشجر والعجوز فلنقم نحن أيضاً بابتكار كلام المرأة للشجر وكلام الشجر للمرأة. وافقتُ على الاقتراح دون أن أؤكد أو أنفي حقيقة الابتكار أو حقيقة الحكاية.

سعيد: المرأة للشجر: ضموني إليكن يا شجراتي، أشعر بالبرد والخوف. أشعر بالموت يقترب. الشجرات تتحرك وتغطي جسد المرأة البارد.

حسن: مدّت المرأة العجوز يدها المتجعدة، ألصقتها في جذع الشجرة العالية، تحولت اليد إلى غصن جديد، همستْ الشجرة: يا إلهي ما أجمل أن تعود غصوني إليّ بعد فقدان سنوات طويلة!

علي: وضعتْ المرأة خدّها على الأرض، تحول الوجه فوراً إلى جذع كبير وصلب، امتدت نحو الجذع غصون كثيرة كانت مقصوفة من شجر ميت كثير، أُضيفت شجرة جديدة إلى عشرات الشجر حول البيت القديم.

فتحي: قالت شجرة صغيرة للمرأة العجوز: لماذا أنتِ بعيدة عني يا أمي؟ اقتربي لأُعيد لك شبابك وأعيدي لي توازني وروعتي.

أجابت المرأة: كم أود ذلك يا ابنتي لكن الكلاب تتربص بي.

سهيل: اقتربتْ المرأة العجوز المجنونة من شجرة عالية. وضعت على جذعها بنطالاً أزرق. تحول الجذع إلى خصر امرأة، وضعتْ المرأة العجوز على الغصون قميصاً أسود فتحولت الأغصان إلى يديّ ونهد امرأة.

هاشم: لم يكن ثمة شجرة ولا كلاب، ولا بيت قديم كان محض حلم، صحوتُ بعده، خائفاً جداً وبحثت عن أمي وأنا أرتجف.

خلدون: هدمت جرافات البلدية البيت القديم واقتلعت الشجر. هربت الكلاب. ماتت المرأة، تحول المكان إلى سوبرماركت كبير. لكن الجيران ما زالوا يسمعون صياح المرأة ونباح الكلاب. هل عرفتم الآن سر المرأة "الشجرة" يا أصدقائي؟ سألت طلابي. أجاب الطلاب بصوت واحد: لم نعرف شيئاً بعد يا أستاذ.انتهت الحصة، انتهى اليوم الدراسي، انتهى العام الدراسي. تركت مهنة التعليم، مرّت سنوات طويلة، نسيتُ حكاية البيت والشجر والمرأة العجوز والكلاب، ولم أعدْ أذكر إنْ كانتْ من ابتكارات ذهني لتدريب الطلاب على تعلم التخيّل والكتابة، أم كانت حكاية حقيقية، استخدمتها لأغراض تعليمية وتربوية. أنا الآن رجل مجنون بلا عمل، هكذا يقول عني الناس، لأنني ببساطة أعتقد أن الشجر نساء وأن النساء شجر، أتعرض دائماً لضرب الناس وتعنيفهم حين يرونني ألمس عين امرأة معتقداً أنها ثمرة خوخ ناضجة للقطف. يا إلهي أنا مجنون فعلاً.